الْمَرْوِيَّاتُ الأدبية في الكُتُب التاريخية

" نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي لمحمد الصغير الإفراني تـ ١١٥١هـ ، نموذجاً "

دراسة وصفية تحليلية

إعداد

د/ محمد الدسوقي محمد إبراهيم غَبْن

المدرس بقسم الأدب والنقد

بكلية اللغة العربية بالزقازيق

جامعة الأزهر

الْمَرْوِيَّاتُ الأدبية في الكُتُب التاريخية

" نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي لمحمد الصغير الإفراني تـ ١١٥١هـ ، نموذجا " دراسة وصفية تحليلية

محمد الدسوقي محمد إبراهيم غَبْن
قسم الأدب والنقد ، بكلية اللغة العربية بالزقازيق، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية
البريد الالكتروني: mohamedibrahim.25@azhar.edu.eg

الملخص:

يتناول البحث دراسة النصوص الأدبية التي حوتها بعض كتب التاريخ التي أَرَّخَتْ لإحدى الأسر الإسلامية الحاكمة بالمغرب العربي، بغية إبراز ما تحويه تلك الكتب من تراث أدبي ثر جدير بالدرس والتحليل النقدي، كما يؤصل البحث لفكرة اعتماد الكتب التاريخية التي عنيت بالمَرْوِّيات الأدبية ضمن كتب الاختيارات الأدبية، بغية الوصول لرأي نقدي يدعو الباحثُ من خلاله الباحثين إلى العودة لكتب التراث التاريخي للتنقيب عما حوته من ذخائر أدبية، لاسيما الكتب التاريخية التي أَكْثَرَ رُواتُها من رواية النص الأدبي والاعتناء به، ويُعْلي من مكانة النص الأدبي المروي في هاتيك الكتب؛ أن راويها أديب ينطلق في اختياره للنص من خلال رؤية وذائقة أدبية تولدت من موهبته، أو بناء على معايير فنية اعتمدها أو أشار إليها عند روايته لهذا النص أو ذاك.

الكلمات المفتاحية : المرويات الأدبية ، نزهة الحادي ، الإفراني ، الاختيارات الأدبية ، كتب التاريخ ، الأدب المغربي ، الأسرة السعدية.

Literary Stories in Historical Books "Nuzhat Al Hady Bakhbar Mlook Al Qarn Al Hady for Mohamed Al Sagheer Al Efrany" T1151H, model "An Analytical descriptive study

Mohammad El-Dsouqi Mohamed Ibrahim Ghabin
Department of Literature and Criticism, Faculty of Arabic Language in Zagaziq, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt
Email: mohamedibrahim.25@azhar.edu.eg

Abstract:
The research examines the literary texts of some history books that were dated to one of the ruling Muslim families in the Maghreb. in order to highlight the rich literary heritage of these books, which deserves to be studied and analyzed critically. It also explores the idea of adopting historical books that dealt with literary narratives in literary selection books. In order to obtain a critical viewpoint, the researcher invites researchers to search about the Historical Heritage Books to excavate their literary masterpieces, in particular, historical books, which have many literary texts that are better taken care of, and are better placed than literary texts in these books. Their narrator proceeds in his choice of text through a vision and moral sense generated by his talent, or on the basis of technical criteria adopted or referred to in his narration of this or that text. Through the examination of the literary text of the book, I have adopted the analytical descriptive approach aimed at describing phenomena or objects and determining their status as they exist. and aims at collecting, compiling, and analyzing data and statistics and interpreting phenomena, At the same time, I have used some research tools, such as inventory and extrapolation, which I employed through the work of tables and statistics, which helps the research reader to identify the literary material that the book contained in the easiest way.

Keywords: Literary Narrations, Nuzhat Al Hady, Al Efrany, Literary Choices, History Books, Moroccan Literature, The Saadi Family.

بسم الله الرحمن الرحيم

(المقدمـــة)

الحمد لله الذي خلق الإنسان علمه البيان، والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم وفصاحة اللسان، وبعد:

فحينما وفقني الله (عز وجل) لكتابة بحثي المعنون بـ " رثاء الأعضاء في عصر صدر الإسلام.." تأكدَتْ لدي حقيقة مهمة؛ وهي أن أغلب موروثنا الأدبي والنقدي لا يزال بحاجة ماسة إلى مزيد بحث وتنقيب عن ذخائره الدفينة؛ لاستخراج لآلئه النفيسة، لاسيما المخبوءة في بطون كتب السير والتاريخ، فلا يخفى على دارس أن كتب التاريخ، والسير والمغازي، والتراجم، تحوي الكثير من ألوان الأدب وفنونه المختلفة شعرًا ونثرًا، والذي أكد الأمر عندي أن أغلب مادة البحث المذكور آنفًا استخرجتها من بطون هذه الكتب، ولم أقف إلا على القليل منها في كتب المختارات الأدبية الشهيرة.

فألهمني الله –عز وجل، بوافر عطائه – أن أتناول مادة أدبية كاملة في أحد كتب التاريخ المغمورة بالدرس الجاد، وإخضاعها للميزان النقدي الموضوعي، لعلها تؤكد هذا الجانب أو تؤيد ذلك الرأي، ومن ثم تلفت نظر الباحثين لمعاودة النظر في هذه الكتب والعكوف عليها بالدرس الفني والتحليل النقدي الهادف البَنَّاء، وبذلك نضيف لبنات أدبية ونقدية جديدة تسهم في رفع صرحنا الأدبي.

ثم وقع اختياري على كتاب " نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي" لمحمد الصغير بن عبد الله الإفراني النجار المراكشي الوجار المتوفى سنة١١٥١هـ = ١٧٣٨م، والذي طبع ضمن منشورات سلسلة الذخائر التي أصدرتها الهيئة العامة لقصور الثقافة برقم (٢١٤) عام ٢٠١٢م، وقد طالعت الكتاب عدة مرات فكان الأمر اللافت الذي استرعى انتباهي وجذبني إليه؛ غزارة المادة الأدبية التي حواها الكتاب، فوجدتها جديرة بالدرس والتحليل النقدي، ومن ثم فقد كانت دوافعي لكتابة هذا البحث عدة أمور منها:

أولا : تلبية رغبتي الملحة في دراسة نتاج ما يمكن أن نطلق عليه الاختيارات الأدبية في الكتب التاريخية، بعد أن تبلورت الفكرة في عقلي وتملكت من نفسي.

ثانيا : محاولة لفت نظر الباحثين ودعوتهم عمليا – من خلال هذا البحث – للعكوف على دراسة النصوص الأدبية التي حوتها كتب السير والتاريخ، والتراجم.

ثالثا : دعوة أدبية فنية لاعتماد كتب التاريخ ضمن كتب الاختيارات، والرد على القائلين بترك تلك النصوص بحجة أن المؤرخ لم يقصد ذلك ابتداء، وإنما سردها ضمن ما يروي من أحداث، لاسيما إن كان هذا المؤرخ أديبا ينطلق في اختياراته الأدبية من خلال ذائقة أدبية وموهبة فطرية.

رابعا : أن هذا الكتاب لم يأخذ حقه بالدرس النقدي فلم يلتفت أحد من الباحثين –فيما أعلم– لدراسة النص الأدبي الذي حواه، علما بأنه يؤرخ لحقبة زمنية طالما ظُلِمَت وعُرِفت بفقر نتاجها، تنتمي أدبيا للعصر العثماني.

خامسا : أن مؤرخ هذا الكتاب أديب رُوِي له شعر ومكاتبات نثرية جديرة بالدرس، وهو ما يؤكد أن مروياته للنص الأدبي في ثنايا تأريخه للحدث انبثقت من ذائقة أدبية وموهبة فطرية، يمكن أن تضع هذه المرويات في مصاف الاختيارات الأدبية.

وقد اعتمدت في تناولي للنص الأدبي – الذي اشتمل عليه الكتاب– على المنهج الوصفي التحليلي الذي يهدف إلى وصف الظواهر أو الأشياء وتقرير حالتها كما توجد، كما يهدف إلى جمع البيانات والإحصاءات وتصنيفها وتبويبها وتحليلها وتفسير الظواهر–[1] والذي أستطيع من خلاله عرض المادة

(١) ينظر في مفهوم المنهج الوصفي وإجراءاته ومميزاته وعيوبه: مناهج البحث العلمي، د/ محمد سرحان المحمودي، دار الكتب صنعاء، ط الثالثة ٢٠١٩م، صـ٤٦.

الأدبية التي اشتمل عليها الكتاب وتصنيفها وعمل الإحصاءات اللازمة... [1] وتحليل النص تحليلا أدبيا بالوقوف والتأمل في بعض الخصائص والسمات الأدبية الموضوعية والفنية، وفي الوقت نفسه استعنت ببعض الأدوات البحثية كالحصر والاستقراء والذي وظفته من خلال عمل الجداول والإحصاءات التي تعين قارئ البحث على التعرف على المادة الأدبية التي اشتمل عليها الكتاب بأيسر طريقة.

هذا وقد جاء البحث في مقدمة عَرَّفْتُ فيها بالموضوع وأهميته، وأسباب اختياري له، والمنهج الذي اتبعته في الدراسة، وتمهيد عنوانه إطْلالة على المُؤَلِّفِ وَالْكِتَاب عرفت فيه بالمُؤلِّف، والمُؤلَّف، ثم وقعت الدراسة في فصلين تناولت في الأول منها النص الأدبي الشعري، وفي الثاني النص الأدبي النثري، ثم خاتمة ركزت فيها على ذكر أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة، ثم فهرس للمصادر والمراجع.

وبعد فهذه الدراسة محاولة أردت من خلالها أن أتقدم بها خطوة في مشواري البحثي والأكاديمي، استعنت فيها بالله – عز وجل – واجتهدت قدر طاقتي، وكُلِّي رجاء في عونه وتوفيقه، ومن ثم فألتمس من قارئه أن يغفر لي ما وقع فيه من هنات أو ذلل، وألَّا يضن على بالنصح والتوجيه الذي يعينني على تقويم هذا العمل ليصل إلى درجة سامية ومنزلة عالية، ومن المقرر أن الكمال لله وحده، والنقص من طبيعة الإنسان، والحمد لله أولا وأخيرًا، وهو حسبي ونعم والوكيل. وصلي الله على محمد وآله أجمعين.

---

(٢) من أهداف المنهج الوصفي: الرصد أو الوصف من أجل الفهم، وهذا الرصد أو الوصف قد يكون كيفيًا أو كميًا، ينظر: مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث، د/ محمد= محمود الذنيبات، وأخرون، ط ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط الرابعة ٢٠٠٧م، صـ١٣٧.

التمهيد :

" إطْلالةٌ على المُؤَلِّفِ وَالْكِتَاب".

أولا : التعريف بالمُؤلِّف:[١]

اسمه ونسبه :

هو المؤرخ، الأديب النحوي، والفقيه المحدث، الشيخ أبو عبد الله محمد الصغير بن محمد بن عبد الله الإفراني الأصل (اليفرني) أو (الإفرائيني)- والإفراني وقيل اليفراني نسبة ليَفْرَن – بفتح الياء والراء وسكون الفاء بينهما- قبيلة بالمغرب- المُرَّاكِشي الموطن، نشأ -رحمه الله- في بيت علم وفقه وصلاح وكان يقال " لبيتهم بيفرن: زاوية السدرة...".[٢]

مولده : أغلب الكتب التي ترجمت له ذهبت إلى أنَّه ولد بمُرَّاكِش قرب الثمانين بعد الألف.

---

(١) وردت ترجمة الإفراني في عدة مصادر منها : الأعلام لخير الدين الزركلي، ط دار العلم للملايين -بيروت- ط الخامسة ١٩٨٠م، جـ ٧، صـ ٦٧. ومعجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف إلياس سركيس الدمشقي، مطبعة سركيس بمصر ١٣٤٦هـ=١٩٢٨م، جـ٢، رقم ١٦٦٨. والنبوغ المغربي في الأدب العربي لعبد الله كنّون الحسني، (د،ن)، ط الثانية ١٣٨٠هـ=١٩٦٠م ، جـ١، صـ ٢٨٨. والحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية للدكتور/ محمد الأخضر، ط دار الرشاد الحديثة – الدار البيضاء- ط الأولى ١٩٧٧م، صـ ٢٢٩. والإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام تأليف العباس ابن إبراهيم السملالي، المطبعة الملكية الرباط، ط الثانية ١٤١٣هـ=١٩٩٣م، جـ٦، صـ٥٠. والتقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر، لمحمد بن الطيب القادري، تح هاشم العلوي القاسمي، ط دار الآفاق الجديدة بيروت، ط الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.، صـ ٤٣٨،٤٣٩... وغير ذلك .

(٢) الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، تأليف العباس ابن إبراهيم السملالي، جـ٦، صـ٥٨.

علمه :

كان –رحمه الله– عالما ثبتا مشاركا في فنون شتى، بدأ طلب العلم ببلدته – مُرَّاكِش– فقرأ على جماعة من الأعيان فيها، ثم ارتحل لطلب العلم بفاس، فأخذ على جماعة من الأئمة الحاذقين بها، ومن العلماء المشهورين كالشيخ أحمد بن عبد الحي الحلبي، وغيره.

جاء في مدحه –نثرا– على لسان صاحب الدرر المرصعة: هو الأديب النحوي اللغوي البياني، المحدث، حافظ العصر، ذو التآليف الشهيرة، الإمام والخطيب بمسجد علي بن يوسف بمحروسة مراكش...".[١]

كما وصفه مؤلف النبوغ المغربي بقوله: " العلامة المؤرخ، صاحب المنن على التاريخ المغربي والأدب بتآليفه المفيدة... والحق أن كتبه سدت ثُلمة في التاريخ المغربي، لولاه لبقينا منها في حيرة شديدة، فهو من أولئك الأفراد الذين بلغوا للأحفاد مآثر الأجداد بأمانة واجتهاد".[٢]

منزلته:

لقد بلغ الشيخ مبلغًا كبيرًا من العلم، مما أنزله منزلة كبيرة فاق بها أقرانه من أبناء عصره جعلته من رجال الدولة في سلطنة المولى إسماعيل.[٣]

أخلاقه :

كان –رحمه الله– كما روي عنه في الكتب التي ترجمت له دمث الأخلاق، خفيف الروح، مشتغلا بالتقييد، جادًا في طلب العلم مستغرق الأوقات في ذلك، مشتغلا بتقييد العلوم لا يعرف اللهو إلى نفسه طريقا.

---

(١) الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، تأليف العباس ابن إبراهيم السملالي، جـ٦، صـ٥١.

(٢) ينظر: النبوغ المغربي في الأدب العربي لعبد الله كنّون الحسني، جـ١، صـ ٢٨٨.

(٣) ينظر: الأعلام لخير الدين الزركلي، جـ ٧، صـ ٦٧.

محنته :

أصاب "الإفراني" ما يصيب النابغين في العلوم في كل عصر من حسد الأقران ووشاية الأصحاب، فقد كان نبوغه وتفوقه على أقرانه سببًا في حسدهم له وإيذائه، بل والوشاية به عند الملوك والأمراء، فبعد أن رجع من فاس إلى مراكش عام ثلاثين بعد المائة والألف " تصدر لقراءة التفسير وصحيح البخاري، واجتمعت عليه طلبة الحمراء بكثرة الجدال والبحث في مجلس إقرائه وتدريسه، ورموه بالزندقة والجهل بأحكامها وعدم توفر شروطها حينئذ.. ورفعوا أمره للقاضي، والخليفة.. وقال لهم: فإن ادعيتم بزعمكم عدم توفر شروط ذلك فلتحضر علماؤكم وحذاق طلبتكم بمجلسنا، واقتسمت عليه طلبة المدينة إلى قسمين: قسم يحبه، وقسم يبغضه، واتفق رأيهم على أن يحضر مجلسه كل يوم سبعة من نبلاء فقهائهم الحذاق يبحثونه، فمن عجز عن المناذرة فليخرج الآخر لعلهم يغلبونه، واستمروا على ذلك فلم يقدروا على شيء من حفظه وبلاغته".(١)

فقد كان –رحمه الله– " فقيه عصره، وقريع دهره، كان ذا حفظ واتقان، وفصيحا وخطيبا تضرب به الأمثال، قد بهر أقرانه من نباهته، حتى وقعت المضاربة في مجلسه بين الطلبة، وبلغ خبر ذلك للحاكم، وندبهم على ترك قراءة التفسير والاقتصار على ما يتعاطاه الناس في الحديث وكتب الفقه لئلا تزيد المشاحنة فيما بينهم..."(٢)

أدبه :

دَلَّتْ مؤلفات "الإفراني" ونتاجه العلمي بما حواه وما طالعناه – إضافة لشهادة من ترجموا له– أنه أديب صاحب ذائقة أدبية وموهبة فطرية، ظهرت

(١) ينظر: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام تأليف العباس ابن إبراهيم السملالي، جـ٦، صـ٥٣.

(٢) السابق، صـ٥٣.

من خلال شعره الذي عبر من خلاله عن خلجات نفسه في الكثير من المواقف التي مر بها بأسلوب أدبي جزل سهل، وكذلك في تآليفه النثرية التي اتسمت بأسلوب الأديب، ورسائله التي كتبها ردًّا على سائل، أو تفنيدًا لشبهة، أو تعبيرًا عن معنى، وهو إن دل فإنما يدل على تعلق شديد بالأدب بنوعيه شعرًا ونثرًا، ويكفي دليلا على حبه لفنون الأدب واهتمامه به مقدمته التي صدر بها كتابه "المسلك السهل، في شرح توشيح ابن سهل"، فقد ضمنها حديثا عن الأدب أشاد فيه بأصحابه ودعا القارئين إلى التزام بابه... كما يؤيد ذلك قول صاحب الإعلام عنه: " له تقاييد مفيدة، ومحاورات ورسائل ومقطعات شعرية قلائل، متوسط النظم"،(١) ويمكن أن نلقي الضوء على شيء من نتاجه الأدبي فيما يأتي:

أولا : شعره :

روي "للإفراني" شعر يدل على موهبته الشعرية، وتمكنه من أدوات هذا الفن نظمًا وتعبيرًا عن أفكاره ومعانيه، من ذلك ما أنشده مصورًا به محنته في التدريس وما لاقاه من وشاية الحاسدين له، قال من الوافر:(٢)

إِلَى كَمْ يَهْتِكُ الْحُسَّادُ عِرْضِي ... وَجَفْنِي عَنْهُمُ بِالْحِلْمِ مُغْضِ
وَمَا ذَنْبِي إِلَيْهِمْ غَيْرَ أَنِّي ... رُفِعْتُ إِلَيهُمُ مِنْ غَيْرِ خَفْضِ
يَرَوْنَ الْعِلْمَ فِيْ حَبْسٍ وَشَيْبٍ ... وَذَاكَ عَلَيْهِمُ بِالْجَهْلِ يَقْضِي
وَهَلْ فِيْ خُطَّةِ الْأَحْبَاسِ شَيْءٌ ... سِوَى غَضَبِ الْإِلَهِ وَهَتْكِ عِرْضِ
وَلَوْ تَرَكُوا حُظُوْظَ النَّفْسِ كَانُوا ... جَمِيْعاً ظَامِئِيْنَ لِوِرْدِ حَوْضِي
وَتَاهُوا فِيْ فِجَاجِ الْحِفْظِ مِنِّي ... وَلَمْ يَصِلُوا إِلَى طُوْلٍ وَعَرْضِ
وَجَاءُوا مُهْطِعِيْنَ لِبَحْرِ عِلْمٍ ... يَفِيْضُ عَلَى الْمَجَالِسِ أَيّ فَيْضِ

(١) الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام تأليف العباس ابن إبراهيم السملالي، جـ٦ صـ٥١.

(٢) السابق، جـ٦، صـ٥٢.

ويظهر فخره بما حصله من علوم، واعتزازه بما امتن الله عليه به من رفعة في العلم، في موضع آخر يقول: (١)

جَمَعْتُ مِنَ النَّفَائِسِ كُلَّ عِلْقِ وَحُزْتُ مِنَ اللَّطَائِفِ كُلَّ غَضِّ
وَحَلَّانِي الْإِلَهُ بِدُرِّ عِلْمِ وَأَعْطَانِي الْقَبُوْلَ بِكُلِّ أَرْضِ
وَحَصَّلْتُ الْعُلُوْمَ بِجُوْعِ بَطْنٍ وَخَوْضٍ فِي الْمَبَاحِثِ أَيِّ خَوْضِ
وَكَمْ مِنْ لَيْلَةٍ قَدْ بِتُّ فِيْهَا سَمِيْرَ دَفَاتِرٍ مِنْ غَيْرِ غَمْضِ

ويخص موهبته الشعرية، وقريحته الفياضة بالفخر، فيقول من الكامل: (٢)

أَنَا أَشْعَرُ الشُّعَرَاء غَيْرَ مُدَافِعٍ مَنْ قَالَ لَسْتُ بِشَاعِرٍ يَأْتِيْنِي
فِكْرِي هُوَ الْبَحْرُ الْخِضَمُّ شَبِيْهُهُ وَالْبَحْرُ حَاوِي الْجَوْهَرِ الْمَكْنُوْنِ

فهذه النماذج الشعرية وغيرها من شعر "الإفراني" ، بما تضمنته من جميل المعاني، وما اشتملت عليه من أدوات فنية؛ تثبت للقارئ تمتعه بموهبة شعرية، ودراية بفن الأدب واهتماما به، وهو ما يُعْلِي من قيمة النصوص الأدبية المختارة التي ضمنها كتابه موضوع الدراسة، والتي أوردها بمثابة اختيارات أدبية منتقاة لتؤيد ما يؤرخ له.

ثانيا: نثره:

تحلى "الإفراني" في كتاباته النثرية بأسلوب أدبي مشوق، يحدو بالقارئ له أن يصنفه ضمن ألوان الكتابة الفنية، فمن بديع نثره مقدمة كتابه "المسلك السهل، في شرح توشيح ابن سهل"، التي امتازت بأسلوب أدبي يدل على غزارة علم، وعمق فكر، وحسن تنسيق. (٣) يقول: " الحمد لله الذي وَشَّح جيد أهل

(١) من قصيدة طويلة له، ينظر: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام تأليف العباس ابن إبراهيم السملالي، جـ٦، صـ٥٢.

(٢) السابق، جـ٦، صـ٥٢.

(٣) اعتمدْتُ المقدمةَ نصًا نثريًا فنيًّا متبعًا في ذلك آراء النقاد الذين عدوا مقدمات الكتب التي عُني مؤلفوها بتجويدها ضمن فنون النثر الأدبي الفني، يقول الدكتور أحمد بدوي : =

الأدب بعقود البيان التي هي على الشرف عنوان، وسرَّح عيون أفكارهم في حدائق كلام العرب فقطفوا أزهار المعاني من أكمام الألفاظ {صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ}،(١) وتَوَّجَ مفارقَهم بإكليل التبيان، وحلَّى لَبَّاتِهم في المقاماتِ بعِقْيان القلائد، وقلائد العقيان،(٢) وأطلع في سماء عقولهم من مُلح البديع شموسها... فسبحان من آتهم {الحكمة وفصل الخطاب}،(٣) وجعل ألسنتهم لِزَبد البلاغة أحسن وِطاب، وحسَّن بهم خمائلَ القريض، فكأنهم في فم الأشعار ابتسام...".(٤)

فهذه قطعة نثرية مختارة "للإفراني" من مقدمة كتابه سابق الذكر، وهي مقدمة طويلة أعلى فيها من شأن الأدب، ومدح أهله، وأشاد بصنعتهم، وقد جاءت مفعمة بالجوانب الفنية من جزالة الألفاظ، وفخامة الأساليب، والتزام السجع، والاستعانة بأسلوب الاقتباس من آي القرآن الكريم، والتناص مع بعض عناوين الكتب.. وغير ذلك مما اشتملت عليه من جوانب فنية.

=

" فقد= عني بعض المؤلفين أن يصنع لكتابه مقدمة يتأنق فيها ويسير على نسق الرسائل الفنية فيسجع ويجانس ويطابق، ولو كانت المقدمة لغير كتاب أدبي، وكانوا يرون من الواجب أن يكون للمقدمة جمالها الأدبي... يريدون بذلك أن يؤثروا في نفوس القراء، وأن يشوقوهم إلى قراءة كتبهم". ينظر: أسس النقد الأدبي عند العرب، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ١٩٧٩م، صـ٥٩٢ .

(١) اقتباس من سورة (الرعد) ، الآية الكريمة رقم : ٤.

(٢) يتناص مع عنوان كتاب قلائد العقيان، للفتح ابن خاقان.

(٣) اقتباس من سورة (ص) ، الآية الكريمة رقم : ٢٠.

(٤) ينظر: المسلك السهل، في شرح توشيح ابن سهل، تأليف محمد الإفراني، تح: محمد العمري، ط وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمملكة المغربية، ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م، صـ ٥١ ، ٥٢ .

وعلى غرار هذه المقدمة جاءت مقدمة المؤلف لكتابه نزهة الحادي – موضوع الدراسة– وسلوك طريقها في التزام السجع، والاستعانة بالاقتباس، والتناص .. فقد استفتح المؤلف كتابه بمقدمة نثرية عرف فيها بموضوعه ودوافعه كما أشاد فيها بعلم التاريخ ورواية الملح والنوادر، والمقدمة في مجملها تبين منزلته العلمية، وذوقه الأدبي وأسلوبه في الكتابة، وفكره المنظم جاء فيها :

" الحمد لله المتعالي عن تواريخ الأزمان مُلْكُه، المتقدسُ في مَلَكُوته عن الأمثال وكيف لا وكل ما في الكون مِلْكُه، القديم الذي لا يبيد سلطانه ولا يتحول، المدبر الذي ليس بساهٍ على شيء من خلقه ولا ناسٍ، القائل وقوله الحق {وتلك الأيام نداولها بين الناس}، فنجوم الأفلاك ما بين شارق وغارب في أفلاك الدول، الباقي الذي كتب على خلقه الفناء ووسمهم به على الخرطوم، وقادهم لسكنى الأجداث قود الجمل المخطوم، فلا ينفع في عبور حقيقة مجازه مختصر السعد المطول، نحمده سبحانه أن ذلل لنا الأقلام فغاضت في بحر ظلمات المحابر على الدرر، وملكنا بها ثدي العلوم فاحتلبنا منها أباريق الدرر، وارتضينا من شرف العلم ما كل شرف سواه مؤمل، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذي رفع الله به عن أمته الحرج والنصب، وجمع فيه جميع الفضائل ولولا عجائب صنع الله ما اجتمعت في لحم ولا عصب، المصطفى من بني هاشم شم الأنوف من الطراز الأول بعثه الله ومملكة الكفر لا تزداد إلا انتصارا، فتل عروشها وقال إن كنت ريحا لقيت إعصارا، ودرس رسمها وهل عند رسم دارس من معول، والرضى عن آله وأصحابه الذين أطلعهم الله نجوما في سماء هذه الملة، وأعطاهم من الكتائب الألفية جمع الكثرة بجمع القلة، وخولهم من كرامته ما خول، أما بعد :

فإن علم التاريخ من أشرف العلوم، ومكانه من العلوم الشرعية معلوم، ومازال الجهابذة الأخيار، يقطعون نفائس أوقاتهم في جمع الأخبار، ويعتنون بمسائلها ويرونها من أسنى ما يدخر، ويقدمونها ولا يقولون الأصل في الأخيار

أن تؤخر، ولا شك أن النظر في ملح النوادر، فيه تنشيط للأفكار السوادر، وغني لم أزل منذ علقت تميمة التمييز في عضدي، وجعلت سوار الطلب في زندي، متشوقا إلى أخبار الدولة السعدية، وسائلا هل استنشق أحد نفحات أخبارها الوردية، فلما لم أر إلا مجيبا بلا، تيقنت أن رسم العلم غيره البلاء، وقمت منتهزا الفرصة، ومفرغا على خاتم السبق من الإفادة فصة، علما مني بأني إن أحسنت في التدوين، وذبحت خوان الأخبار بما يشتهى من التلوين، كان ما اشتهيته من الإصابة والتأييد، وإلا كنت محركا لهمة غيري ومعينا له على التقييد، وفي كلا الحالتين فالتجارة رابحة، وهمة النفس في لجة الخير سابحة، وكنت بدا لي أن ألم بدولة بني وطاس، وأواخر بني مرين، بما يكون ذيلا لروض القرطاس، وروضة النسرين، فرأيت الدولة السعدية عناية أهل زماننا بها أكثر، والاقتصار عليها لا يكون بها تاريخ الملك أبتر، وسميت هذا الموضوع الذي حديثه حسن صحيح غير موضوع، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي...". (١)

فهذه النماذج وغيرها إن دلت فإنما تدل على ملكة "الإفراني" الأدبية، وتمكنه من صنعة الكتابة الفنية، وتملكه من أدواتها، هذا مع ما امتاز به الشيخ من موهبة فطرية وأدوات علمية أعانته على ذلك.

مصنفاته :

للشيخ "الإفراني" تصانيف كثيرة تدل على سعة علمه وتبحره في شتى العلوم، وسوف أجملها على النحو الآتي:(٢)

(١) ينظر مقدمة كتاب نزهة الحادي، صـ ١، ٢ ، ٣ ..

(٢) اعتمدت في هذا التقسيم على ما ذكره الدكتور/ محمد الأخضر صاحب كتاب " الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية"، مرجع سابق، صـ ٢٢٩

أولا : في التاريخ :

١: روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف، وسماه أيضا " الظل الوريف ..".

٢: درر الحجال، بالتعريف بسبعة رجال، الصلحاء المشهورين بمراكش.

٣: المُغرب في أخبار المغرب.

٤: نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي.. وهو كتابنا الذي نتاول نصه الأدبي موضوعا لهذا البحث.

ثانيا: في التراجم : صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر، وهو من آخر ما قد ألف. (١)

ثالثا: في الأدب:

١: المسلك السهل، في شرح توشيح ابن سهل الإشبيلي وهو أول ما ألف.

٢: شرح ياقوتة البيان، وهي أرجوزة في البلاغة.

٣: رسائل وأشعار مختلفة.

رابعا: كتب أخرى في موضوعات متنوعة:

١: طلعة المشتري في ثبوت توبة الزمخشري.

٢: الإفادات والإنشادات. وقد وصفه مؤلف الإعلام بأنه تأليف لا كفاء له في الحسن. (٢)

٣: فتح المغيث بحكم اللحن في الحديث.

وفاتـه : من الأمور التي اختلف حولها أغلب من ترجموا للإفراني تاريخ وفاته؛ فمنهم من ذكر أنه توفي في حدود الأربعين، ومنهم من ذكر أنه بقي حيا إلى سنة خمس وخمسين، ومنهم من ذهب إلى أن وفاته كانت في

(١) الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام تأليف العباس ابن إبراهيم السملالي، جـ٦، صـ٥١.

(٢) السابق، جـ٦، صـ٥١.

حدود عام خمسين ومائة وألف، [١] وأقبر رحمه الله بمكان يسمى الروضة قرب جامع ابن يوسف بمراكش. [٢]

ثانيا : التعريف بالكتاب :

يُعد كتاب " نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي " من كتب التاريخ التي عُنيت بالتأريخ لبعض الأسر الحاكمة في الدولة الإسلامية، وصنوه في ذلك كتاب " مفرج الكروب في أخبار بني أيوب" لابن واصل الحموي تـ٦٩٧هـ، وكتاب " اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الخلفا" لتقي الدين المقريزي تـ ٨٤٥هـ .

يتناول الشيخ "الإفراني" في كتابه – موضوع الدراسة – التأريخ لأحداث حُكْم الدولة السعدية، وأخبار ملوكها وأمرائها، بوصفها إحدى الأسر التي حكمت المغرب الأقصى، فهي أسرة من الأشراف الحسينيين تنسب إلى الإمام القاسم الملقب بالنفس الذكية، نزحت من الحجاز إلى جنوب المغرب في مطلع القرن الثامن الهجري= الرابع عشر الميلادي، قادوا حملة مقاومة ضد الوجود البرتغالي في البلاد، فاستولوا على مراكش ثم دخلوا فاس عام ٩٥٧هـ ، ونجحوا في القضاء نهائيا على التواجد البرتغالي في موقعة تسمى بوادي المخازن ٩٨٦هـ، كما قاوموا محاولات العثمانيين في التوغل داخل المغرب، حتى فرضوا سيطرتهم على كامل الأراضي المغربية، وبلغت الدولة السعدية ذروة مجدها السياسي وتمكين حكمها في البلاد في عهد السلطان المنصور الذهبي سنة ١٠١٢هـ، والذي نجح في تأمين البلاد واستحداث نظم إدارية جديدة أطلق عليها مصطلح " المخزن"... ثم أخذت الدولة السعدية في التراجع بعد وفاة السلطان المنصور الذهبي ١٠١٢هـ ، بعد أن اقتسم أبناؤه حكم المغرب فاستقر

(١) اعتمدت تاريخ وفاته المشهور أو الغالب لمن ترجموا له سنة ١١٥١هـ = ١٧٣٨م.

(٢) الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام تأليف العباس ابن إبراهيم السملالي، جـ٦، صـ٥١.

أحدهم في مراكش في الفترة بين ١٠١٢- ١٠٣٧ هـ، والآخر في فاس في الفترة ١٠١٢- ١٠٣٧هـ.[١]

ويتميز كتاب "نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي" بغزارة مادته الأدبية شعرًا ونثرًا، ومرجع ذلك أن مؤرخه – كما ذكرت في تعريفه السابق الذكر – أديب يغلب علي أسلوبه روح الأدب فلا يبرح يذكر حدثا أو مناسبة إلا ويشفعها بمروية أدبية تتناسب مع الواقعة التي يذكرها، أو تؤيد الخبر الذي يرويه.

وكذلك مما يقوي من مكانة النص الأدبي المروي في الكتاب أن "الإفراني" نص صراحة في خاتمة كتابه تعمد اختياره النصوص المروية، وانتقاء أفضل الملح الأدبية فقال: " انتهى ما حم لنا تسطيره، ووفى ما وافى في روض طروسنا مطيره، من أخبار الملوك.. مع الإلماع بفوائد مستملحة، وبدائع يقع عليها اختيار من لمحة وأدبيات، بُدورُها في أفق المحاضرات زواهر وغرائب جواهر، فوائدها للعقول بواهر، وقد بلغت المنتقى في ذلك غاية، وصرفت لجمعه عنان العناية، وبذلت فيه جهدي وأنفقت من وجدي على قدر ما عندي...".[٢]

وحتى يتبين للقارئ ما اشتمل عليه الكتاب من مرويات أدبية غزيرة ومتنوعة، فقد قمت بعمل حصر يظهر لنا بوضوح قدر المادة الأدبية التي تضمنها الكتاب بين دفتيه، ويمكن لنا أن نقف على هذه النصوص بكل دقة من خلال هذا الكشاف الإحصائي (البيبليوجرافي) الآتي:[٣]

---

(١) نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، محمد الصغير الوافراني، ط الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر رقم (٢١٤)، لسنة ٢٠١٢م، صـ أ، ب.

(٢) نزهة الحادي، صـ ٣١٠.

(٣) هذا الكشاف يتضمن إحصاء نهائيا مختصرًا، وسوف ألحق بالبحث إحصاءً تفصيليا لكل نص أدبي بأرقام الصفحات في الكتاب موضوع الدراسة.

أولا : إحصاء النص الشعري الوارد بالكتاب: (١)

م	النوع	العدد حسب النوع	عدد أبيات كل نوع	ملاحظات
١	قصيدة	٣٩	٧٥٩	
٢	قطعة	٦٠	٢٥٩	
٣	نتفة (البيتان)	٧٥	١٥٠	
٤	البيت (اليتيم)	٣٤	٣٤	
المجموع النهائي:		–	١٢٠٢	

ثانيا : إحصاء النص النثري الوارد بالكتاب

مسلسل	النوع	العدد	عدد الأسطر	ملاحظات
١	رسالة	٢٤	١٣٠٦	

من خلال هذين الكشافين يتبن للباحث الفاحص غزارة وتنوع المادة الأدبية التي أوردها المؤلف في كتابه، والتي تعد بمثابة مأدبة شهية تغري الباحث بالتعرض لها بالدرس والنقد، وهو ما سوف يظهر في سطور البحث التالية.

هذا وقد اعتمدت على تحقيق النص الأدبي المروي ودراسته على نسختين، الأولى: طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة، والتي طبعتها ضمن إصدارات سلسلة الذخائر برقم (٢١٤)، سنة ٢٠١٢م، تقديم د. أيمن فؤاد السيد، والحقيقة أن هذه النسخة بها بعض الأخطاء الطباعية، مما عَرَّض بعض أبيات النص الشعري للكسر العروضي؛ مما دفعني للبحث عن طبعة ثانية بتحقيق ثان أدق من الأولى لمطابقة النصوص ثم اختيار الأصوب من

(١) اتبعت في تصنيف النص الشعري ما اتفق عليه علماء العروض من كون القصيدة الشعرية هي ما تكونت من سبعة أبيات فصاعدًا، وما تكون من ثلاثة إلى ستة يسمى "قطعة "، وما تكون من بيتين يسمى " نتفة "، والبيت الواحد يسمى "مفردا أو يتيما".

خلال الترجيح بين النصين وإن اتفقا في الأعم الأغلب. والنسخة الثانية: بتحقيق الباحث عبد اللطيف حجي، وقدم لها الدكتور محمد حجي، والتي طبعت طبعتها الأولى عام ١٩٩٨م، بمطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء، وهي أدق من جهة التحقيق وأقل أخطاء من الأولى وإن لم تسلم هي الأخرى من بعض الأخطاء.

الفصل الأول : المَرْوِيَّاتُ الشعرية.

روى الشيخ محمد الصغير "الإفراني" – رحمه الله– في كتابه التاريخي الموسوم بـ " نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي " مادة شعرية غزيرة، منوعة الأغراض والمضامين ضمن ما يؤرخ له، فتارة يرويها على لسان أحد الشعراء تسجيلا للموقف أو الحدث المؤرخ له، وأخرى تأتي الرواية الشعرية صريحة على لسانه لمناسبة ما مدح أو رثاء أو غيره، أو لمن يترجم له، وهو ما سوف أتناوله بشيء من التحليل من خلال المحاور الآتية:(١)

أولا: شعر المدح:

يعد شعر المدح أغزر الأغراض الشعرية التي وقفت عليها ضمن النصوص الشعرية التي رواها "الإفراني" في كتابه التاريخي، ولا أجد غرابة في ذلك؛ فمن الطبعي أن يكثر الراوي من شعر المدح لاسيما وهو يؤرخ لحكم أسرة تعاقب فيها الحكام من سلاطين وملوك وأمراء واحدًا تلو الآخر في حكم بلاد المغرب الأقصى، فما أن يؤرخ لحاكم ما فترة حكمه إلا ويورد الأشعار التي دبجها الشعراء فيه مديحًا، وقد جاءت مضامين شعر المدح منوعة ما بين مديح للملوك والأمراء، ومديح للعلماء والصالحين، وغير ذلك، وهو ما سوف يظهر في السطور الآتية:

أ : مدح الملوك والأمراء

وهو أكثر ألوان المديح ورودًا في الكتاب، ومن ذلك ما رواه في مدح أحد ملوك الدولة السجلماسية الشريفة الحسينية وهو الملك على الشريف، للشاعر أبي فارس بن الربيع الغرناطي، (٢) وهي قصيدة طويلة بلغَتْ أبياتُها اثنتين وخمسين بيتا.

---

(١) اعتمدت في ترتيب الأغراض الشعرية على غزارة المادة المروية في الكتاب.

(٢) لم أتمكن من الوقوف له على ترجمة وافية، وإنما ذكر اسمه في بعض كتب التراجم من خلال ذكر بعض قصائده، وذكر بلقب الفقيه، فيقال: قال الفقيه أبو فارس بن الربيع =

وفيها يقول (من الطويل) :[١]

أَبَا الْحَسَنِ الْمَوْلَى الشَّرِيْفَ الَّذِي بِهِ عَلَى الْغَرْبِ شَمْسُ النَّصْرِ أَشْرَقَ بِالصَّحْرَا
وَلَاحَتْ بَآفَاقِ الْقُلُوْبِ عَجَائِبٌ بِهَا سَلَبَ الْأَلْبَابَ تَحْسَبُهَا سِحْرَا
هُوَ الصَّقْرُ مَهْمَا اهْتَزَّ كُلُّ مُجَلْجِلٍ هِزَبْرٌ إِذَا مَا أَنْشَبَ النَّابَ وَالظُّفْرَا[٢]
هُوَ الْغَوْثُ إِنْ دَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ لِلُّقَا وَغَيْثٌ إِذَا مَا الْمُزْنُ مَا أَمْطَرَتْ قَطْرَا
أَغَارَ عَلَى الْأَعْلَاجَ فَاجْتَاحَ جَمْعَهُمْ وَجُنْدٌ لَهُمْ قَتْلَى وَشَرَّدَهُم أَسْرَا

فالممدوح شمس لاحت أنواره بالنصر فأضاءت الظلمات وأنارت الضروب وأشرقت بسببه أنوار النصر، وتظهر الأبيات أن الشاعر يمدحه بالشجاعة والإقدام والظفر على الأعداء، كما يشبهه في قوته وإقدامه بالأسد في شجاعته وفتكه بالفريسة، ثم يصور ما فعله بالأعاجم من فتك وتشريد، فتركهم ما بين قتيل وهارب وأسير، ولا يخفى ما في الأبيات من توظيف الشاعر للصفات التقليدية التي مدح بها شعراء العرب –قديما– الملوك والأمراء، ولا بأس بذلك إذ " إن حياة الشعر العربي طوال هذه العصور إنما كانت مقرونة بحياة القصيدة المادحة على وجه الخصوص"،[٣] وهو ما يظهر أن الشاعر في بلاد المغرب الأقصى كان يحتذي أثر المشارقة في المديح، وإن ضعف أسلوبه عنهم وقل ماء شعره شيئا، ولعل مرجع ذلك هو فتور

=

الغرناطي، ينظر: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، لأبي العباس شهاب الدين أحمد الدرعي السلاوي، تحقيق جعفر الناصر وأخرون، ط دار الكتب العلمية الدار البيضاء، (د – ت)، جـ٣، صـ ٧ .

(١) نزهة الحادي، صـ ٢٩٤.

(٢) المُجَلْجِلُ : الجريء الدَّفَّاعُ المِنْطِيقُ، والمُجَلْجِلُ: السَّيِّدُ القوي، وسَحَابٌ مُجَلْجِلٌ : السَّحَابُ الْمُحْدِثُ للرَّعْدِ.

(٣) القصيدة المادحة ومقالات أخر، د/عبد الله الطيب، ط دار التأليف والترجمة والنشر، جامعة الخرطوم، ط ١، ١٩٧٣م، صـ ٢٨.

العاطفة لكون القصيدة من قصائد مدح السلاطين التي يغلب عليها جانب المجاملة أو المبالغة في القول، فينتقل الشاعر بسببها من الشعر المطبوع إلى الشعر المتصنع، ويؤيد ذلك عندي أن الشاعر في هذه المدحة قام بالتركيز على البُعد السياسي للممدوح، ولم نر فيها توظيفا أو إشارة للمستويين العلمي أو الديني كما سيظهر في النماذج التالية لشعراء أخر.

ومن المدائح التي رواها "الإفراني" في كتابه، ما أنشده أديبُ حضرة فاس ومفتيها أبو محمد عبد الواحد البوعنانّي الشريف،(١) يمدح السلطان إسماعيل، يقول من الوافر: (٢)

حَمَيْتُمْ بَيْضَةَ الْإِسْلَامِ لَمَّا ... بِثَغْرِ الْحَقِّ قَدْ حُرِسَت ثُغُوْرُ
وَجَاهَدْتُمْ وَقَاتَلْتُمْ فَأَنْتُمْ ... لِدِيْنِ اللهِ أَقْمَارٌ بُدُوْر
وَأَطْعَمْتُمْ صَوَارَمَكُمْ لُحُوْماً ... لَدَى الْهَيْجَاءِ صَاحِبُهَا كَفُوْر
فَفُقْتَ الْبَدْرَ يَوْمَ السِّلْمِ حُسْنًا ... وَفِيْ يَوْمِ الْوَغَا الْأَسَدُ الْهَصُوْرُ

يمدح الشاعر السلطان موظفا البُعد الديني المؤثر في النفس، ويوظف لذلك ما كان سائدًا من المعاني ومحببا للأمة من التغني بحماية بيضة الإسلام والذود عنه، كما يشيد بشدة بأس ممدوحه ونصرته لدين الله، ويصور ما حل

(١) ولد الشريف البوعناني سنة ثمان وثمانين وتسعمائة (٩٨٨هـ)، ونشأ في بيت يَعمر بذكر الله وتلاوة كتابه العزيز، تلقى تعليمه على كبار مسندي عصره؛ فأخذ القراءات عن أبي العباس أحمد بن محمد الفَشْتالي، وغيره حتى أتقن القرآن قراءة وفهما، وحفظ «الصحيحين»، توفي سنة ثلاث وستين وألف (١٠٦٣هـ)، عن عمر يناهز خمس وسبعين سنة. ينظر: الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر لعبد الله بن محمد الفاسي (ت١١٣١هـ)، تح فاطمة نافع، ط دار ابن حزم بيروت، ط الأولى ٢٠٠٨م، صـ١٥٤، ونشر المثاني من أهل القرن الحادي عشر والثاني لمحمد بن الطيب القادري (ت١١٨٧هـ)، ط دار المغرب للتأليف والترجمة، ١٩٧٧م، (٦٥/٢)، وغير ذلك.

(٢) نزهة الحادي، صـ ٣٠٧.

بأعدائه من شدة بأسه حيث يتركهم جزر السباع، وفي البيت الأخير يجيد صنع صورة لممدوحه يجمع فيها بين الحسي والمعنوي عن طريق توظيف التصوير البديعي باستخدام المقابلة فيصفه في الشطر الأول بالبدر حسنا وقت السلم، وفي الشطر الثاني بالأسد الهصور وقت الحرب.

وأرى أن شعراء هذه الحقبة في ذلك القطر – من خلال ما روي في الكتاب– حاولوا أن يمدحوا الإنسان النموذج أو القدوة وذلك بالتركيز على خلاله وأفعاله، وقد أشار أحد نقادنا المحدثين إلى ارتياحه لهذا اللون من المدح فقال: "ولعل سر الارتياح إلى المدح الرفيع إنما هو ابتهاج النفس للإشارة بالسمو الإنساني، ولتصور مُثل عليا للإنسانية... وربما كان هذا المعنى هو الذي نظر إليه الشاعر عندما قال: (١)

وَلَوْلَا خِلَالٌ سَنَّهَا الشِّعْرُ مَا دَرَى * بُنَاةُ الْعُلَا مِنْ أَيْنَ تُؤْتَى الْمَكَارِمُ

وكأن النقاد عندما تحدثوا عن الفضائل النفسية التي هي مجال مدح الشعراء كانوا يدفعون الشعراء إلى تلمس هذه الفضائل في ممدوحهم".(٢)

وكثيرًا ما كان شعر المدح يأتي ممتزجا بالتهنئة بالنصر، ومن نماذجه ما رواه (الإفراني) في كتابه وهو يتحدث عن بَعْث السلطان المنصور جيوشه إلى السودان قال : "ولما وافت المنصورَ وفودُ البشائر بالفتح سُرَّ بذلك سُرورًا عظيما وأمر بالمفرحات، وتزيين الأسواق غدوة وعشية ثلاثة أيام وآتته الوفود تهنئه..."، (٣) ومما قيل في ذلك ما أنشده أبو فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالي(٤) فقال من الكامل: (١)

---

(١) البيت لأبي تمام من قصيدة له مطلعها: أَلَم يَأنِ أَن تَروى الظِماءُ الحَوائِمُ *** وَأَن يَنظِمَ الشَملَ المُشَتَّتَ ناظِمُ

(٢) أسس النقد الأدبي عند العرب: د/ أحمد أحمد بدوي، مرجع سابق، صـ١٩٤.

(٣) نزهة الحادي، صـ ٩٥.

(٤) عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم الفشتالي، أبو فارس، وزير المنصور أحمد –أحد =

جَـيْشُ الصَّـبَاحِ عَلَـى الـدُّجَى مُتَـدَفِّقُ ... فَبَيَـاضُ ذَا لِسَـوَادِ ذَلِـكَ مُمْحِـــقُ
وَكَأَنَّـــهُ رَايَـــاتُ عَسْكَـــرِكَ الَّتِـــي ... طَلَعَتْ عَلَـى السُّوْدَانِ بِيْضًـا تَخْفِـقُ
لَاحَـــتْ وَأُفْقُهُـــــمُ لَيَـــالٍ كُلُّـــــهُ ... كَعَمُـوْدِ صُـبْحٍ فِـي الدُّجَـى يَتَـدَفَّقُ
نُشِـرَتْ لِتَطْـوِيْ مِنْـهُ لَـيْلًا دَامِسـاً ... أَضْـحَى بِسَـيْفِكَ ذِي الْفِقَـارِ يُمَـزِّقُ
أَرْسَـــلْتَهُنَّ جَوَائِحـــاً وَجَوَارِحـــاً ... فِـيْ كُـلِّ مَخْـلِبِهَا غُـــرَابٌ يَنْعِـقُ
وَسَـــرَتْ فَكَـــانَ دَلِيْلُهُـــنَّ إِلَيْهِـــمُ ... مَشْـحُوْذُ عَزْمِـكَ وَالسِّـنَانُ الْأَزْرَقُ
لَـــهُ الليَـــالِي قَـــدْ جَـــلَا أَحْلَاكَـــهَا ... نُـوْرُ النُّبُـــوَةِ مِـنْ جَبِيْنِـكِ يُشْـرِقُ
صَـعَقَتْ بِهِـنَّ رُعُـوْدُ نَـارِكَ صَـعْقَةً ... رُجَّـتْ لِصَـيْحَتِهَا الْعِـــرَاقُ وَجَلَّـقُ

فالقصيدة من القصائد التي تميزت بالعاطفة القوية، وحسن الأسلوب، وروعة التصوير، ولعل الصدق الفني ونضج شاعرية قائلها من أهم الأسباب لذلك، فهي صورة لكثير من القصائد –التي رواها الإفراني– التي توفرت فيها عناصر نجاح التجربة الشعرية.

فهي تحمل أبعادًا مضمونية يغلب عليها المستوى السياسي بتصوير الممدوح مَلِكاً مُهابا، فاتحا البلاد منتصرًا على أعدائه بجيشه القوي، الذي يفتك بمن يقف في وجهه.. إلخ ما تضمنه النص من معان فكرية، وإن لم تُعدم مطلقا من توظيف المدح بالمستوى الديني وذلك حينما صور الشاعر الممدوح

=

سلاطين المغرب– ينسب إلى فشتالة قبيلة بالشمال الغربي لفاس من صنهاجة ولد عام ٩٥٦هـ ، وتوفي عام ١٠٣٢هـ ، وهو من شعراء المغرب والأندلس، كما يعده البعض من شعراء الأندلس، روي له ٦٩ قصيدة... يراجع الأعلام للزركلي، وذكريات ومشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة للعلامة الأديب عبد الله كنون، تقديم د/ محمد بن عزوز، ط دار ابن حزم، ط الأولى٢٠١٠م، صـ ١٢٢٤.

(٣) نزهة الحادي، صـ ٩٥ ، ٩٦.

في جلائه ظلمة الليالي بنور النبوة المشع من جبينه المشرق، إشارة إلى اتصال نسبه ونسله بالنسل الشريف، ومعلوم ما لذلك المعنى من أثر على المتلقي..

وتحمل القصيدة أبعادًا فنية متعددة يأتي في مقدمتها البناء الهيكلي لهذه القصيدة، ففي الوقت الذي ترسمت فيه قصيدة المدح في الكتاب خطى القصيدة المشرقية من جهة كونها تبدأ بالمطلع الطللي أو الغزلي، ثم التخلص للدخول في الغرض الرئيس أو الموضوع الأساسي وصولا إلى الخاتمة، تأتي هذه القصيدة مختلفة فنرى الشاعر يستهلها بالدخول في غرضه مباشرة دون مقدمات، ولعل مرجع ذلك أنها تتعلق بالحديث عن النصر والتغني بالبطولة فبدأ حديثه بما يلائم المناسبة، ويستمر الشاعر في تناول معانيه في وحدة بديعة حتى يصل إلى الخاتمة؛ والتي تأتي متصلة غير منقطعة منبثقة من الغرض الرئيس للقصيدة فتكون بمثابة القفل لها، فيختمها بالدعاء لممدوحه، يقول:

دَامَتْ طُيُوْرُ السَّعْدِ وَهْيَ غَوَارد بالمشتهى لك والمسرة تنطق
ما دام ذكر علاك في صحف الثنا أصل الفخار وكل ذاك ملحق

وبهذا نستطيع أن نحكم للشاعر بأنه استطاع أن يحقق الوحدة الموضوعية لقصيدته والتي حددها النقاد في " وحدة الغرض كأن يكون موضوع القصيدة الذي يدور حوله حديث الشاعر موضوعا واحدًا مثل الغزل أو الرثاء أو المدح، دون أن يختلط أحد هذه الأغراض بغرض آخر معه في نفس القصيدة".[١] وهو ما تحقق لهذه القصيدة من مطلعها مرورًا بمتنها حتى ختامها.

وعلى مستوى التشكيل اللغوي والأسلوبي تظهر سهولة المفردات التي لا تحتاج إلى الرجوع إلى المعاجم، فلا يوجد لفظ غامض، أو أسلوب ركيك

(١) أصول النقد الأدبي، د/ طه أبو كريشة، ط الشركة المصرية العالمية للنشر، ط الأولى ١٩٩٦م، صـ٤٥٢.

متكلف أو معقد، كما نلحظ إجادة الشاعر لتوظيف ما يمكن أن نطلق عليه معجم الحرب وذلك من خلال ذكر الألفاظ التي تتعاون لاكتمال صورة المعركة ومن ذلك قوله: " جَيْشُ ، رَايَاتُ عَسْكَرِكَ ، بِسَيْفِكَ ذِي الْفِقَارِ، مَشْحُوْذُ عَزْمِكَ ، وَالسِّنَانُ الْأَزْرَقُ"، كما لا يخفى توظيف الشاعر للفعل المضارع الذي يفيد الاستمرار والذي أراد الشاعر من خلاله تصوير مسيرة النصر لجيوش السلطان، وديمومة التنكيل بالأعداء، كقوله " تَخْفِقُ، يَتَدَفَّقُ، تَطْوِيْ، يُمَزِّقُ، يَنْعِقُ، يُشْرِقُ". وكذلك في اعتماد الشاعر على الأسلوب الخبري في جل الأبيات والذي جاء مناسبا لتوظيفه لزمن الأفعال المضارعة في إفادة التجدد والحدوث، مع ما أكده الأسلوب الخبري من المعاني التي انبثقت من الغرض الرئيس للقصيدة ألا وهو المدح.

كما استعان الشاعر بأسلوب التكرار والذي تجلي في الأبيات من خلال تكرار بعض الكلمات فنرى كلمة "الدجى" تتكرر مرتين في البيت الأول والثالث، وكلمة "بياض" في البيتين الأول والثاني، وكلمة " الصباح" في البيتين الأول والثالث، وكلمة " الليل" ثلاث مرات في الأبيات الثاني والرابع والسابع، وكلمة "صعقت" في البيت الثامن مرتين... وقديما تحدث عن ظاهرة التكرار الناقد ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) وأرجع قيمته الفنية إلى " إرادة التوكيد والإفهام"،(١) وإن كنت أرى أن قيمته الفنية تزيد على ذلك بكثير، وتتعدد بتعدد مواضعه، وتختلف باختلاف السياق، مع مراعاة المناسبة أو الغرض والحالة الشعورية والجو العام للنص.

وعلى مستوى التشكيل بالصورة يجمع الشاعر بين الصورتين الجزئية والكلية من خلال عدة عناصر وأدوات يحسن الشاعر توظيفها، لتتعاضد وتتكامل جميعها لرسم الصورة الكلية للقارئ والسامع، فنجد الصورة التشبيهية

(١) تأويل مشكل القرآن، شرح السيد أحمد صقر، ط دار التراث (القاهرة)، ط الثانية، ١٩٧٣م، صـ٢٤٠ .

مرة من خلال استخدام أداة التشبيه كأنَّ، وأخرى بالكاف، ويظهر ذلك في قوله:

وَكَأَنَّـــهُ رَايَـــاتُ عَسْكَـــرِكَ الَّتِـــي طَلَعَتْ عَلَى السُّوْدَانِ بِيْضًا تَخْفِقُ

وقوله:

لَاحَـــتْ وَأُفْقُهُـــــمُ لَيَـــالٍ كُلُّـــــهُ كَعَسُوْدِ صُبْحٍ فِي الدُّجَـــى يَتَـــدَفَّقُ

وكذلك التصوير بالاستعارة في قوله :

جَيْشُ الصَّبَاحِ عَلَى الدُّجَى مُتَدَفِّقٌ فَبَيَـاضُ ذَا لِسَـوَادِ ذَلِـكَ مُمْحِـــقُ

فالصباح ليس له جيش حقيقة، ولكن الشاعر شبه جيش السلطان في جلاء البغي والظلم وظهور نور الحق وسطوع شمسه، بإشراقة شمس الصباح التي تجلي ظلمة الليل الطويلة بظهور نور النهار، بجامع الظهور والوضوح في كل، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية، وهي صورة تخيلية رائعة أفادت التشخيص، وما كان لها أن تتم لولا توظيف الشاعر لهذه الأداة التصويرية. كما وظف الشاعر في البيت نفسه التصوير البديعي باستخدام الطباق أكثر من مرة بين الصباح والدجى، وبياض وسواد، ليتآزر مع الصورة الاستعارية في اكتمال الصورة، والذي زاد من إيضاح المعنى وتأكيده عن طريق التضاد.. وكذلك توظيف الجناس الناقص في قوله: " جوائحا، وجوارحا" في البيت الخامس قوله:

أَرْسَـــلْتَهُنَّ جَوَائِحـــــاً وَجَوَارِحـــاً فِـيْ كُـلِّ مَخْـلِبِهَا غُـــرَابٌ يَنْعِـقُ

ونلحظ أنه جاء طيعا مضفيا صورة من الجمال الفني على البيت مساهما في تعميق الفكرة دون أن يثقل كاهل المعنى، مع ما أفاده من حسن الجرس، وإحداث موسيقية داخلية آسرة تولدت من تشابه الألفاظ وتكرارها وتآلفها.

وقد برع الشاعر في توظيف إحدى الصور الدينية المشحونة ببعض الدلالات الصوفية، وذلك في قوله:

لَـــهُ الليَـــالِي قَـــدْ جَـــلَا أَحْلَاكَـــهَا نُـوْرُ النُّبُـــوَةِ مِـنْ جَبِيْنِـكِ يُشْـرِقُ

وفيه إشارة إلى النسب الشريف، فسلاطين هذه الأسرة ينتمون إلى الأشراف من نسل سيدنا الحسين –رضي الله عنه– ، وكلمة " نور النبوة " لها في المعجم الصوفي دلالات خاصة.

وعلى مستوى التشكيل الإيقاعي فقد وظف الشاعر بحر الكامل التام وهو بحر ذو نفس طويل، ومن "أكثر بحور الشعر العربي غنائية ولينا، وانسيابية، وتنغيما واضحا، إلى جانب كونه يتألف من وحدة صافية مفردة مكررة"(١)، وقد ساعد الكامل بامتداد تفاعيله وكثرة حركاته على إتاحة الفرصة للشاعر أن يحشد معانيه ويضمنه أفكاره وصوره، فقد نثر فيه الشاعر ما استطاع من صفات ومناقب الممدوح... كما عني الشاعر بالقافية وحافظ عليها بوصفها شريكة في تجلية موسيقى القصيدة فاختار لرويها حرف القاف وهو أحد حروف الجهر، كما أنه أحد الأحرف المشهور استعمالها رويا في الشعر العربي، وجاء بالقافية مطلقة ليعطي للصوت امتدادا وفرصة في التعبير، ومتنفسا للبوح بالمشاعر الكامنة في النفس.

ولم يغفل الشاعر جانب الموسيقى الداخلية التي تجلت في القصيدة من خلال الحروف بجرسها، والكلمات والأساليب والصور بإيقاعها، والتي ظهرت من أول بيت في مطلع القصيدة وذلك حينما أحسن توظيف "التقفية" فجاء بروي الشطرين الأول والثاني "قافا" مع مراعاة الحركة المطلقة، وفي هذا لون من التنغيم الصوتي بين شطري البيت ساهم في إحداث إيقاع عذب تجلى أثره في تملك مشاعر المتلقي من أول دفقة شعرية في القصيدة.

وبعد فما أكثر التشكيلات الفنية التي اتكأ عليها الشاعر في نجاح تجربته الشعرية واكتفيت هنا بالإشارة إلى أظهرها.

(١) موسيقى الشعر العربي قديمه وحديثه، د/ عبد الرضا علي، ط دار الشروق، ط الثانية ١٩٩٧م، صـ ٤٤.

وهناك لون من قصائد مديح الملوك والأمراء التي رواها "الإفراني" في كتابه كان الشاعر يأتي بها في ثنايا قصائد المديح النبوي، وفيها كان الشاعر يستهل قصيدته بمطلع غزلي، ثم ينتقل للغرض الرئيس وهو المديح النبوي، ثم يحسن التخلص فيختم قصيدته بمدح الملك الذي تنشد القصيدة في حضرته، ومن نماذج ذلك مدح الملك المنصور والذي جاء في ختام إحدى قصائد المديح النبوي للشاعر الفشتالي، يقول مستهلا قصيدته بمطلع غزلي وحديث عن الطيف وتباريح الهوى، من الكامل:(١)

مَـا بَـالُ طَيْفِـكَ لَا يَـزَالُ إِمَامَـا وَبِمُنْحَنَـى الْأَخْشَـا ضَـرَبْتَ خِيَامَـا
أَيَعِـيْشُ فِيْـكَ عَـوَاذِلِي بِسُـهُومِهِمْ وَأَمُـوْتُ فِيْـكَ صَـبَابَةً وَغَرَامَـا
وَتُبِـيْحُ نَهْـرَكَ سَـائلاً مِـنْ أَدْمُعِـي أَوَ لَـيْسَ نَهْـرُ السَّـائِلِيْنَ حَرَامَـا
مَا ذُقْتُ مَاءَ لِمَاكَ فِي سِنَةِ الْكَرَى إِلَّا انْتَهَـتْ فَكَـانَ لِـي أَحْلَامَـا

ولا يخفى أن المطلع يغلب عليه الحس الصوفي، وذلك من خلال توظيف الغزل الصوفي والذي يظهر من الألفاظ وأساليب والصور، كقوله: "وَتُبِيْحُ نَهْرَكَ.." وقوله: "مَا ذُقْتُ مَاءَ لِمَاكَ.."، وهو تحليل لا غرابة فيه إذ كانت الصوفية شائعة في هذه الحقبة في هذا القطر، بل كانت المنهج أو الدعوة التي قام عليها حكم الأسرة السعدية في بلاد المغرب.

ثم ينتقل الشاعر – بعد هذا المطلع– للغرض الأصيل للقصيدة فيمدح خير البرية (ﷺ)، يقول:

خَيْـرَ الْأَنَـامِ مُحَمَّـد الهَـادِي الَّـذِي أَرْدَى الضَّـلَالَ وَجَـبَّ مِنْـهُ سَـنَامَا
كِنْـزُ الْعَـوَالِمِ سِـرُّ طِيْنَـةِ آدَمِ وَلِحِفْـظِ ذَاكَ السِّـرِّ جَـاءَ خِتَامَـا
وَأَجَـلَّ إِرْسَـالِ الْأَنَـامِ وَمَـنْ بِـهِ قَـدْ لَاذَ يُـوْنُسُ حِـيْنَ خَـاضَ ظَلَامَا
وَتَقَاصَـرَتْ عَـنْ فَـرْدِهِ أَعْـدَادُهُمْ فَلِـذَا تَقَـدَّمَ فِـي الْحِسَـابِ إِمَامَـا

(١) نزهة الحادي، صـ ١٤٨.

ثم يختم قصيدته بمدح الملك المنصور، يقول :

خَيْرُ الْوَرَى وَإِمَامُهَا الْمَنْصُوْرُ مَنْ ... فِـيْ ظِـلِّ دَوْلَتِـهِ الْأَنَـامُ أَقَامَـا
أَضْفَى عَلَى الْأَرْضِيْنَ ظِلَّ مَهَابَةٍ ... فَحَمَى بِهَا حَامِي الْعِبَادِ وِسَامَا
وَسَمَا عَلَى الدُّنْيَا عُقَابَ تَنُوْفُهُ ... فَانْقَضَّ يَفْتَرِسُ الْأُسُوْدَ جِهَامَا
قُلْ لِلْمُلُوْكِ هُبُّوا لمَالكُمْ فِدًى ... وَخُذُوا لِأَنْفُسِكُمْ لَدَيْهِ ذِمَامَا[1]

فهذه القصيدة نموذج لمجموعة من القصائد المروية بالكتاب التي ضمن فيها شعراء هذه الأسرة الحاكمة في قصائدهم المدحة النبوية مديح ملوكهم، وكانت تأتي في ختام القصيدة كهذه القصيدة، ولعل الداعي إلى ذلك أنهم –كما روى الإفراني– كانوا يقيمون الاحتفالات بالمولد النبوي الشريف وينشدون القصائد في حضرة ملوكهم، ومن ثم فكان الموقف يفرض عليهم أن ينتقلوا من معنى لآخر بما يقتضيه المقام.

ومن أبرز الجوانب الفنية في مرويات المدائح في هذا الكتاب، أن الشعراء كثيرا ما كانوا ينسبون ممدوحهم من السلاطين إلى النبي محمد (ﷺ)، ونسله الطاهر من السيدة فاطمة (رضي الله عنها)، ويجعلون ذلك بابا للفخر بنسبهم الشريف، فهذه الأسرة حسينية شريفة يرجع نسبها لنسل النبي (ﷺ)، فمثلا نرى الشاعر في هذه القصيدة يوظف هذا الجانب ويتكئ عليه فيجعله بيت التخلص للانتقال من مدح النبي (ﷺ)، لمدح الملك المنصور ويظهر ذلك في قوله من الكامل:[2]

صَـلَّى عَلَيْـهِ اللهُ مَـا زَانَ الْحَيَـا ... رَوْضًـا فَفَـتَّحَ زَهْـرهُ الْأَكْمَامَـا
مَـا لَـذَّةٌ فِـي غَيْـرِ مَـدْحٍ مُخْلِـصٍ ... إِلَّا بِمَـدْحِي مِـنْ بَنِيْـكَ إِمَامَـا

(١) يوجد بالشطر الأول كسر عروضي لم ينتبه إليه المحققان، وقد روي في النسخة الثانية: قُلْ لِلْمُلُوْكِ هُبُوا مَا لَكُمْ فِدًى.

(٢) نزهة الحادي، صـ ١٤٩.

وهناك لون من قصائد مديح الملوك والأمراء التي رواها "الإفراني" في كتابه كان الشاعر يأتي بها في ثنايا قصائد وصف القصور والمباني، وفيها كان يستهل الشاعر قصيدته بالوصف ويفيض في ذلك بوصفه الغرض الرئيس للقصيدة، ثم يحسن التخلص فيختم قصيدته بمدح الملك الذي تنشد في حضرته القصيدة، ومن ذلك ما جاء في مدح الملك المنصور في ختام إحدى قصائد الوصف التي تناول فيها الشاعر وصف قبة قصر البديع الذي بناه المنصور، للشاعر أبي فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالي وفي مطلعها يقول من الوافر:[١]

جَمَالٌ بَدَائِعِيٌّ سَحَرَ الْعُيُوْنَا وَرَوْنَقُ مَنْظَرِي بَهَرَ الْجُفُوْنَا
وَقَدْ حَسُنَتْ نُقُوشِي وَاسْتَطَارَتْ سَنًا يَغْشَى عُيُوْنَ النَّاظِرِيْنَا

يستهل الشاعر قصيدته بتصوير جمال القصر، وروعة صنعة قبته، ثم يأخذ الشاعر في وصف القبة، وتصوير ما اشتملت عليه من معاني الحسن وآيات الجمال ويمعن في ذلك، حتى يصل إلى بيت التخلص منتقلا منه إلى مدح الملك المنصور فقال في ختام قصيدته:

وَقَدْ نَشَرَ الحَبَابُ عَلَى سَمَاهَا لآلِي تَزْدَرِي الْعُقْدَ الثَّمِيْنَا[٢]
فَخَرْتُ وَحُقَّ لِيْ لَمَّا اجْتَبَانِي لِمَجْلِسِهِ أَمِيْرُ الْمُؤْمِنِيْنَا
هُوَ الْمَنْصُوْرُ حَائِزُ كُلِّ سَبْقٍ وَبَانِي الْمَجْدِ بُنْيَانًا مَكِيْنَا
وَلَيْثُ وَغًى إِذَا زَأَرَ امْتِعَاضًا يَرُوْعُ زَئِيْرُهُ هِنْدًا وَصِيْنَا
إِمَامٌ بِالْمَغَارِبِ لَاحَ شَمْسًا بِهِ الشَّرْقُ اكْتَسَى نُوْرًا مُبِيْنَا
بَقَيْتَ بِذِي الْقُصُوْرِ الْغُرِّ بَدْرًا يَلُوْحُ بِأُفْقِهِنَّ مَدىً السِّنِيْنَ

(١) نزهة الحادي ، صـ ١٠٦ .

(٢) الحَبَابُ : طرائق تظْهر على وجه الماء تصنعها الرّيح، والحَبَابُ الفقاقيع على وجه الماء، والحَبَابُ: الطَّلُّ يُصْبِح على النَّبات.

لَـــكَ الْبُشْـــرَى أَمَيْـــرَ الْمُؤْمِنِيْنَـــا ادْخُلُوْهَـــا بِسَـــلَامٍ آمِنِيْنَـــا[١]

ومهما يكن من أمر فإن هذه النماذج من المدائح التي وردت في الكتاب تمثل الوجه الحسن أو الإيجابي من ألوان المدح، وذلك لأن الشاعر التزم فيها المدح بالخلال الإنسانية والصفات النفسية والفضائل الخُلُقِية التي دعا النقاد إلى تمثلها في المدح كما قال قدامة بن جعفر تـ ٣٣٧هـ وهي " العقل، والشجاعة، والعدل، والعفة ".[٢]

وفي الوقت الذي تأتي فيه هذه القصائد المدحية بما تحمل من مضامين هادفة وتنطلق من قيم إسلامية وأخلاقية؛ نجد بعض مقطعات المديح تحمل مضامين تافهة، وعواطف فاترة، يظهر عليها أثر الصنعة أو التملق – إن جاز التعبير– طلبا لنوال على غرار شعر التكسب، ومن ذلك ما روي عن مدح الشاعر الكاتب أبي عبد الله محمد ابن عمر[٣] للخليفة المنصور بأبيات يطلب منه فيها أن يشمل عطاؤه الزيت وقد استثنى المنصور من عطاياه له أعشار الزيت، فقال من الطويل:[٤]

أَبَحْـرَ النَّـدَا خَيْـرَ الْمُلُـوْكِ سَـجِيَّةً وَأَفْضَـلَ سُـلْطَانٍ رَقَـى فَـوْقَ مِنْبَـرِ
لَقَدْ سِرْتَ فِي الْإِسْلَامِ أَحْسَنَ سِيْرَةٍ وَخُصِّصْتَ بِالنَّصْرِ الْعَزِيْزِ الْمُـؤَزَّرِ
أَمَـوْلَايَ لَاحِظْنِـي بِجُـوْدِكِ إِنَّنِـي فَقِيْـرُ نَـوَالٍ مِـنْ لَـدُنْكَ مُـوَفَّرِ

(١) يوجد بالشطر الثاني كسر عروضي لم ينتبه إليه المحققان، وقد اتفقت روايتهما للبيت.
(٢) نقد الشعر لأبي الفرج قدامة بن جعفر، تـ كمال مصطفى، ط الخانجي، ط ٣، صـ ٦٦.
(٣) أبو عبد الله محمد بن عمرو بن أبي القاسم الشاوي، فقيه أديب، حصل من الأدب اليانع على حظ وافر، ويظهر من شعره وبعض نوادره مع المنصور أنه كان ظريفاً خفيف الروح حلو الحديث، حتى عد من شعراء الفكاهة، وهو مع ذلك فصيح العبارة لطيف الإشارة، لا يتكلف ولا يتعمق، فيكاد يكون كلامه مرآة تتمثل فيها سهولة خلقه. ينظر: النبوغ المغربي، عبد الله كنون، جـ١.
(٤) نزهة الحادي، صـ ١٢٥

فَهَـذَا زَمَـانُ الزَّيْـتِ قَـدْ جَـاءَ مُقْـبِلَا وَلِـــي رَغْبَـــةٌ فِيْـــهِ بِغَيْـــرِ تَنَكُّـــرِ
فَمِنْهَا اشْتِعَالِي فِـي الدُّجَى وَتَطَيُّبِـي وَدُهْـنُ طَعَـامِي ثُـمَّ مِنْهَـا تَعَطُّـرِي
لِأَنِّـــي بَلِيْـدُ الطَّبْـعِ أَشْـتَاقُ رِيْحَهَـا فَفِي الزَّيْتِ يَا مَوْلَايَ مِسْكِي وَعَنْبَرِي

يبدأ الشاعر مقطوعته بمدح مليكه بالجود ويسدل عليه بعض القيم المثالية فهو أفضل من رقى منبر العرش، وخصص بالنصر، ثم ينتقل الشاعر صراحة لطلب النوال والذي خصه بالزيت، ويعلل حاجته له فمنه طعامه ودهنه وإشعال مصباحه إلخ ما ذكر، وبهذا فهذه الأبيات صورة لما كانت عليه بعض الأشعار في تلك الفترة وما كان عليه بعض شعراء هذه الحقبة وهذا القطر من التكسب بالشعر وطلب الأعطية.

ب : مدح العلماء والصالحين:

من مضامين شعر المديح التي تضمنها الكتاب وأخذت بُعدا علميا مدح العلماء، ومن نماذجه ما رواه الإفراني عن مديح الأديب أبو عبد الله محمد بن أحمد المكلاتي، (١) للشيخ محمد العياشي، يقول من الطويل: (٢)

حَدِيْثُ الْعُلَا عَنْكُمْ يَسِيْرُ بِهِ الرَّكْبُ وَيَنْقِلُـهُ فِـي صُـحْفِهِ الشَّـرْقُ وَالْغَـرْبُ
وَحُـبُّكُمُ فَـرْضٌ عَلَـى كُـلِّ مُسْـلِمٍ تُنَـالُ بِـهِ الزُّلْفَـى مِـنَ اللهِ وَالْقُـرْبُ
فَأَنْـتَ رَفِيْـعٌ مِـنْ أُصُـوْلٍ رَفِيْعَـةٍ نُجُـوْمُ الـدَّيَاجِي فِـي الْأَنَـامِ لَهَـا سِـرْبُ
سَـمِيُّ رَسُـوْلِ اللهِ نَاصِـرُ دِيْنَـهُ تَجَلَّـى بِكُـمْ عَـنْ أُفْقِـهِ الشَّـكُّ والرِّيْـبُ
وَلَـمْ أَرَ بَحْـرًا جَـاوَزَ الْبَحْـرَ قَـبْلَكُمْ يَجُـوْدُ بَعَسْـجَدٍ أَنَامِلُـهُ السُّـحْبُ
وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ عِنْدِي فَإِنَّ ذَا أُجَـاجٌ لَعَمْـرِي لِلسَّـوَاقِي وَذَا عَـذْبُ

(١) محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد، أبو عبد الله المكلاتي، أديب من علماء المغرب يقال له المكلاتي الأكبر، تمييزا من شخص آخر ينعت بالأصغر. توفي بفاس ١٠٤١هـ ، ينظر: الأعلام للزركلي، جـ ٦، صـ٨.

(٢) نزهة الحادي، صـ٢٦٢.

يمدح الشاعر الشيخ بذيوع صيته الذي أصبح حديث الشرق والغرب، ويرى أن حبه واجب على كل مسلم، يتقرب بذاك الحب إلى الله تعالى، كما يمدح فيه رفعة أصله، وجميل خلاله، ثم يشير إلى غزارة علمه وتبحره في العلوم، وذلك من خلال مؤلفاته وكتاباته، حتى غدت أنامله تجود بالدرر العلمية كالبحر الذي يجود باللؤلؤ والياقوت، بل فاق البحر في عطائه وسعة علمه.. ثم يوظف الشاعر أسلوب الاقتباس من القرآن الكريم في الشطر الأول من بيته الأخير من قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ...﴾ (١).

ومن نماذج مدح العلماء والصالحين في الكتاب قول الكاتب أبي عبد الله محمد بن علي الهوزالي المعروف بالنابغة، (٢) في الفقيه الشاعر القاضي أبي مالك عبد الحميد الواحدي من المتقارب: (٣)

أَيَا تُحْفَةَ الدَّهْرِ يَا نَاظِرَهْ ... وَطُرْفَةَ أَيَّامِهِ النَّاضِرَهْ
وَيَدْرَ الْعُلُومِ الَّتِي قَدْ نَضَتْ ... دُجَى الْجَهْلِ أَنْوَارُهُ الْبَاهِرَهْ
وَمَنْ كُرِّعَتْ فِيْ حِيَاضِ الْمَعَانِي ... لَهُ فِطْنَةٌ بِالذَّكَا سَاحِرَهْ(٤)
أَنَظْمُكَ أَمْ قَرْقَفٌ بَابِلِيْ ... وَلَفْظُكَ أَمْ نَفْثَةُ السَّاحِرَهْ(٥)

---

(١) سورة فاطر، الآية الكريمة رقم : ١٢ .

(٢) أبو عبد الله محمد بن علي الهوزالي شاعر الدولة الرسمي، كان شديد الاتصال بالمنصور، يقوم عنده في الاحتفالات الرسمية والأعياد، ينشده ويعجب بشعره كثيراً، وكان فخم الألفاظ نابه المعاني، جيد النظم رائع الأسلوب، وله شرح على ديوان المتنبي، توفي بمراكش في شعبان سنة ١٠١٢هـ. ينظر: النبوغ المغربي، عبد الله كنون، جـ١، صـ٢٦٣.

(٣) نزهة الحادي، صـ١٢٣.

(٤) كَرَعَ مِنْ مَنَاهِلِ العِلْمِ: تَعَلَّمَ بِرَغْبَةٍ زَائِدَةٍ وَشَغَفٍ.

(٥) القَرْقَفُ: الخمْرُ. وفي الأساطير أن الخمر البابلي أصل الخمر وأجوده، والقَرْقَفُ الماءُ البارِدُ الصافي.

تُعَلِّـــلُ أَرْوَاحَنَـــا مُـــذْ غَشَـــا بِـــأَرْوَاحِ رَوْضَـــتِكَ الزَّاهِـــرَهْ

....

فَـــلَا زِلْـــتَ يَـــا شَـــيْخَنَا يُهْتَـــدَى بِنُـــوْرِكَ فِـــي اللَّيْلَـــةِ السَّـــاهِرَه

فالممدوح بدر العلوم الذي أزال ظلام الجهل وأضاء للناس طريقهم؛ بفطنته وألمعيته النادرة التي تفوق بها على أقرانه، فغدا نظمه بسحره وجميل بيانه وأثره في النفس كأنه خمر بابل الصافية المؤثرة في النفس بما لها من سطوة، وما يميز هذا المدح عن سابقه أنه يمدح بالخلال المعنوية والعقلية التي ينبغي أن تتحقق في العالم دون غيره.. ومثل هذه المدائح التي تجلى فيها المستوى العلمي إنما تشير إلى روح العصر في هذه الحقبة وذلك القطر، من محبة العلم والرغبة فيه ومكانة أهله ورفعتهم بل وحُظْوتهم عن الحكام وفي المجتمع عموما. وعلى غرار هذه النماذج أتت قصائد المديح التي رواها الشيخ الإفراني في كتابه. (١)

ومهما يكن من أمر فإن قصائد المدح التي رواها "الإفراني" في كتابه أخذت أكثر من منحى مضموني سياسي وديني وعلمي، كما أن الشعراء ركزوا فيها على الجوانب المثالية في شخصية الممدوح، كما كانت أغلبها تصدر عن حب وتقدير للممدوح، ولعل العاطفة الدينية التي يصدر عنها الشعراء في حبهم لملوكهم هي الدافع لذلك، فكثيرا ما كانوا ينسبون ملوكهم للنبي (ﷺ) ويفخرون بذلك، وكانت أغلب الصفات التي مدحوها فيهم الشجاعة، والدفاع عن الدين، ونصرته ودحر خصومه، والكرم، وأصلهم الشريف.

وعلى مستوى التشكيل الفني فقد حذا شعراء المغرب حذو شعراء المشرق العربي من حيث البناء الفني للقصيدة، والتقاليد المتبعة للقصيدة العربية، من مطلعها حتى خاتمتها، وكذلك في اتباع التشكيلات الفنية الأخرى معجميا وأسلوبيا، سواء على مستوى التشكيل بالصورة أو الموسيقى أو غير ذلك...

(١) ينظر: القصائد والمقطعات، نزهة الحادي: صـ ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤.

ثانيا: المدائح النبوية:

من أغراض الشعر التي أثبتت حضورًا لافتا على صفحات الكتاب قصيدة المديح النبوي، وكان وراء حضورها بواعث ودوافع خاصة، فإلى جانب أن حب النبي (ﷺ) أمر فطري في نفس كل مؤمن، وأن شخصية النبي بكمالها الخِلْقي والخُلُقي تستحق الإشادة والفخر بشمائلها، -إلي جانب ذلك كله- يتمحور دافع خاص عند "الإفراني" للإكثار من روايته لهذا اللون من المديح؛ ذلك أن الأسرة الحاكمة التي يؤرخ لها تنتمي للأشراف، حيث يعود نسبها إلى نسل النبي (ﷺ)، كما أنها أسرة تنتهج الروح الصوفية المفعمة بالحب المحمدي في الدعوة والحكم، لذا كثرت مجالس احتفاء سلاطين تلك الأسرة واحتفالهم بالمولد النبوي الشريف، وشهود تلك الأعياد، وحضور مجالس العلم وحلقات التدريس في المساجد، وهذا كله مذكور في صفحات الكتاب، ومن ثم فلا غرابة أن نجد إكثار "الإفراني" من رواية المدائح النبوية مع طولها، فقد بلغت أبيات إحدى قصائد المديح النبوي التي رواها أحد عشر ومائة بيت.(١) ومن نماذج هذا اللون من الشعر ما رواه "الإفراني" من قصائد متتالية تحت عنوان "ذكر احتفال المنصور بالمولد النبوي، واعتنائه بالأعياد على السنن السنيّ"، ثم قال: "... وقد آن لي أن أذكر طرفًا من القصائد التي كان يمدح بها في الموالد الشريفة تتميما للغرض ..".(٢)

فمن ذلك قول الأديب أبي مالك عبد الواحد بن أحمد الشريف الفلالي(٣) في مطلع قصيدته من الطويل:(١)

---

(١) وهي قصيدة الكاتب الأديب أبو فارس عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم الفشتالي، انظر: نزهة الحادي صـ ١٥٢، ١٥٧.

(٢) نزهة الحادي، صـ ١٤٨، ١٤٩.

(٣) أبو مالك عبد الواحد بن أحمد بن محمد ابن الحسن بن محمد بن علي الشريف ينتمي إلى دوحة الأشراف المحمديين العلويين، ولد سنة ٩٣٣هـ، التحق منذ نعومة أظفاره بزاوية =

أَرِقْــتُ وَشَــاقَتْنِي الْبُــرُوْقُ اللَّوَامِــعُ وَذِكْــرَى خَلِــيْطٍ هَيَّجَتْــهُ الْمَرَابِــعُ
مَرَابِــعُ فِــيْهِنَّ الــرَّوَامِسُ وَالسَّــمَا تُرَاقُ مِنَ الْأَشْوَاقِ فِيْهَا الْمَدَامِعُ(٢)

يستهل الشاعر قصيدته بحديث عن الشوق وذكرى الحبيب، فيذكر الرَّبْع بما يحمله من شحنات عاطفية مثيرة تحرك في النفس كوامن الشوق، وتدر دموع العين، كما يتكئ الشاعر على بعض الألفاظ الرمزية كقوله: "الْبُرُوْقُ اللَّوَامِعُ"، التي توحي بمعان خاصة فكأن شيئا يبرق أمام عينيه ليجذبه، ويضيء له الطريق ثم يشده شدًّا إلى مبتغاه ألا وهو حب النبي والهيام فيه..، وبعد هذا المطلع الذي بلغ عشرة أبيات يتخلص الشاعر لينتقل إلى مدح النبي (ﷺ)، فيشيد أولا بشاعرية المكان من خلال الإشادة بالمدينة المنورة وساكنها، ثم ينتقل للمديح الخالص للنبي (ﷺ) مبتدئا بالصلاة والثناء عليه يقول:

عَلَيْــكَ صَــلَاْةُ اللهِ يَــا خَيْــرَ مُرْسَــلٍ وَيَــا خَيْــرَ مَــنْ تُثْنِــيْ عَلَيْــهِ الْأَصَــابِعُ
فَلَــوْلَاكَ هَــذَا الْكَــوْنُ مَــا زَالَ مُعْــدَمًا وَأَنْــتَ الَّــذِيْ يَرْجُــوْهُ عَــاصٍ وَطَــائِعُ
لَكَ الْفَخْرُ فِي الدَّارَيْنِ وَالْمَوْقِفُ الَّذِيْ لِأَهْوَالِــهِ كُــلُّ النَّبِيْئِــيْنَ جَــازِعُ
فَــآدَمُهُمْ وَالْكُــلُّ تَحْــتَ لِــوَائِكُمْ وَلَــيْسَ لَهُــمْ – وَاللهِ– غَيْــرُكَ شَــافِعُ

=

الولي الصالح الشيخ محمد ابن مهدي الجراري (٩٠٢-٩٧٩) الذي ألزم نفسه بنشر العلم وإرشاد المخلوقات على ضفاف وادي درعة، وقد تأثر به شاعرنا في العلم والأخلاق والسلوك، وقرأ عليه في الفقه والتصوف والعقائد.. ، وكانت دولة السعديين تقدر مكانة أبي مالك العالم والمحدث المفتي والأديب الشاعر الناثر توفي سنة ١٠٠٣هـ ودفن بمراكش.. ينظر سيرته في: مجلة دعوة الحق الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، العدد (١٩٢).

(١) نزهة الحادي، صـ ١٤٩.

(٢) روَامِسُ: جمع رامِس، روامس : رياح تغطي الآثار بما تثيره، يقال: رَمَسَتِ الرِّياحُ الآثَارَ : طَمَسَتْ مَعالِمَها.

فَجَـازَاكَ رَبُّ الْعَـرْشِ مَـا أَنْـتَ أَهْلُـهُ جَـزَاءً بِـهِ يَشْجَى الْمُنَـاوِي الْمُخَـادِعُ

تظهر الأبيات حب الشاعر وإجلاله لمقام النبي محمد(ﷺ)، ومن ثم فنراه يستهلها بالصلاة والسلام عليه، ثم يصور مشهد الشهادة له بالنبوة من جميع المسلمين وذلك من خلال إشارتهم برفع إصبعهم عند ذكر الشهادتين وهي صورة طريفة قَلَّ مَن ذكرها من الشعراء قوله: "وَيَا خَيْرَ مَنْ تُثْنِيْ عَلَيْهِ الْأَصَابِعُ"، فقد صور الأصابع بصورة شخص يتكلم ويثني، مستعينا بالاستعارة المكنية التي أفادت التشخيص، ثم يمعن في الحب فيرى أن الكون ما كان لولا نبيُّنا (ﷺ)، ومقصوده من ذلك محاولة إظهار مكانة النبي وشرفه عند ربه، ثم يحاول أن يظهر قدر النبي (ﷺ) مرة أخري؛ وذلك من خلال الإشارة إلى المنزلة الرفيعة للنبي عند ربه يوم القيامة فيضمن أبياته معنى حديث الشفاعة المشهور، وهو ما يظهر ثقافته الدينية، وتعلقه بالموروث الديني، فمن المعلوم أن شعراء هذا الفن "ذهبوا مذاهب شتى تتمشى مع شخصية الشاعر، ومدى ثقافته، وتنطبع بالذوق العام للعصر الذي قيلت فيه"،(١) ثم يختم الشاعر أبياته بالدعاء للنبي ببلوغ الدرجة والمكانة التي تسعد محبيه وتغيظ شانئيه. وقد استعان الشاعر ببعض التشكيلات الفنية للتعبير عن معانيه في هذه الأبيات كتنوع الأسلوب ما بين الخبري والإنشائي في قوله: "عليك صلاة الله.." وقوله: "يا خير مرسل"، وتكرار الأسلوب الإنشائي مرتين كقوله " يا خير مرسل، ويا خير من تثني عليه.."، والتصوير البديعي بالطباق بين " عاص، وطائع "، وقد سبقت الإشارة إلى التصوير بالاستعارة بالكناية، وأسلوب القصر عن طريق النفي والاستثناء في قوله " وليس لهم –والله– غيرك شافع "، ولا نغفل جانب الموسيقى من خلال اختيار الشاعر لبحر الطويل الذي عاونه على التعبير

(١) العامل الديني في الشعر المصري الحديث، د/سعد الدين الجيزاوي، ط المجلس الأعلى للفنون والآداب، صـ ١٩٩.

وأعطاه مساحة لإخراج أفكاره في موسيقية آسرة..هذا وغيره مما ساعده على التعبير عن الفكرة وتعمق المعنى في نفس المتلقي.

ومن قصائد المديح النبوي التي رواها "الإفراني" ما أنشده الكاتب الأديب أبو فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالي، قال من الطويل: (١)

مُحَمَّـــدُ خَيْـــرُ الْعَـــالَمِيْنَ بِأَسْـــرِهَا وَسَيِّدُ أَهْلِ الْأَرْضِ مِنَ الْإِنْسِ وَالجَانِ(٢)

وَمَـــنْ بَشَّـــرَتْ بِبَعْثَـــهِ قَبْـــلَ كَوْنِـــهِ نَـــوَامِسُ كُهَّـــانٍ وَأَحْبَـــارُ رُهْبَـــانِ

وَرَحْمَـةُ هَـذَا الْكَـوْنَ لَـوْلَاهُ مَـا سَـمَتْ سَـمَاءٌ وَلَا غَاضَـتْ طَـوَافِحُ طُوفَـانِ(٣)

وَلَا زُخْرُفَـتْ مِـنْ جَنَّـةِ الْخُلْـدِ أَرْبُـعٌ يُسَـــبِّحُ فِيْهَـــا آدَمٌ حُـــوْرُ وُلْـــدَانِ(٤)

وَلَا طَلَعَتْ شَمْسُ الْهُدَى عَنْ دُجَنَّةٍ تَجَهَّـمَ مِـنْ دَيْجُورِهَـا لَيْـلُ كُفْـرَانِ(٥)

يمدح الشاعر النبي (ﷺ) بما يظهر مكانته وقدره العظيم فهو خير العالمين، وسيد أهل الأرض أجمعين، ورحمة هذا الكون، والذي لولاه ما سمت سماء، ولا غاض ماء، ولا زخرفت جنة، ولا طلعت شمس الهدى التي انجلى بسببها ظلام الكفر.. كما أشار إلى الأخبار والنبوءات التي بشرت بمولده (ﷺ) التي ذكرها الأحبار والرهبان عن خبر بعثته مما ذكر مفصلا في كتب السيرة النبوية، ويبدو أن هذا النمط في تناول تلك المعاني كان سائدًا في هذه البيئة،

---

(١) نزهة الحادي، صـ ١٥٤.

(٢) يوجد بالشطر الثاني كسر عروضي لم ينتبه إليه المحققان، وفي النسخة الثانية: وَسَيِّدُ أَهْلِ الْأَرْضِ مِنَ الْإِنْسِ وَالجَانِ وبه كسر أيضا.

(٣) في نسخة الأولى: " طوامي طوفان " صـ ٢٣٨، لكن أثبتُ ما في النسخة الثانية حتى لا ينكسر البيت، والطوامي الماء الكثير والشيء العظيم. طَوَافِح: جمع طافِح، يقال: طَفَحَ الإِنَاءُ : اِمْتَلأَ حَتَّى فَاضَ مِنْ جَوَانِبِهِ

(٤) في النسخة الثانية: " تسيح " صـ ٢٣٨. المَيْنُ : الكَذِبُ، ومَيَّان: فاعل من مانَ، كذاب.

(٥) في النسخة الأولى: " جنة تحمم " بدلا من " دجنة تجهم"، صـ ١٥٤، والدجنة : السواد والظلمة. تجهم الشخص: صار عابس الوجه.

فلم أقف على حديث عن أخلاقه (ﷺ) أو أثره في تغيير مجرى البشرية بإحياء المعاني الإنسانية، أو إشادة بمناقبه..إلخ هذه المعاني التي تناولها شعراء العصر الحديث، وقد استعان الشاعر للتعبير عن هذه المعاني ببعض الأدوات التصويرية كالطباق بين: " إنس، وجان"، والمقابلة في قوله: " نوامس كهان، وأخبار رهبان"، وقوله: " سمت سماء، وغاضت طوفان"، والذي عاون على إبراز المعنى وإيضاحه من خلال التضاد.

ومما يؤخذ على الشاعر في بعض أبياته السابقة أنها فقدت أحيانا جانب الشاعرية التي تؤثر في نفس القارئ، ومرجع ذلك ثقل بعض الألفاظ التي جاءت قلقة في موضعها مثل لفظة: "طوافح"، ولو استبدلها الشاعر بكلمة " زواخر" لكانت أفضل لخفتها وموسيقاها، وكذلك تنافر بعض الكلمات بسبب تكرار بعض الحروف لكونها أتت متتالية، مثل تكرار حرف الجيم في الكلمات: " دجنة، وتجهم، وديجور"، في قوله: "تَجَهَّمَ مِنْ دَيْجُورِهَا لَيْلُ كُفْرَانِ" مما نتج عنه تكلف بعض المعاني.

ثم ينتقل الشاعر للحديث عن بعض معجزاته (ﷺ) يقول:[١]

لَـهُ مُعْجِـزَاتٌ أَخْرَسَـتْ كُـلَّ جَاحِـدٍ ... وَسَـلَّتْ عَـنِ الْمُرْتَـابِ صَـارِمَ بُرْهَـانِ

لَـهُ انْشَقَّ قُرْصُ الْبَدْرِ شِقَّيْنِ وَارْتَوَى ... بِمَـاءٍ هَمِـي مِـنْ كَفِّـهِ كُـلُّ ظَمْـآنِ

وَأَنْطِقَـتِ الْأَصْـنَامُ نُطْقًـا تَبَـرَّأَتْ ... إِلَـى اللهِ فِيْـهِ مِـنْ زَخَـارِفِ مَيَّـانِ[٢]

دَعَـا سَـرْحَةً عَجْمَـى فَلَبَّـتْ وَأَقْبَلَـتْ ... تَجُـرُّ ذُيُـوْلَ الزَّهْـرِ مَـا بَـيْنَ أَفْنَـانِ[٣]

وَضَاءَتْ قُصُوْرُ الشَّامِ مِنْ نُوْرِهِ الَّذِي ... عَلَـى كُـلِّ أُفْـقٍ نَـازِحُ الْقَطْـرِ أَوْ دَانِ

وَإِنَّ كِتَـــابَ اللهِ أَعْظَـــمُ آيَـــةٍ ... بِهَا افْتَضَحَ الْمُرْتَابُ وَابْتَأَسَ الشَّانِي

وَعَـزَّ عَلَـى شَـأْوِ الْبَلِيْـغِ بَيَانُـهُ ... فَهَيْهَـاتَ مِنْـهُ سَـجْعُ قُـسٍّ وَسَـحْبَانِ

---

(١) نزهة الحادي، صـ ١٤٩.

(٢) المَيْنُ : الكَذِبُ، ومَيَّان : فاعل من مانَ، وميان، كذاب .

(٣) السَّرْحَة واحدة السَّرْح ؛ ضَرْبٌ من الشجر، وقيل: كل شجرة طويلة سَرْحة.

تظهر الأبيات صدق عاطفة الشاعر فنراه يمدح النبي بذكر المعجزات التي أجراها الله –عزو جل– لنبيه فأخرست كل منكر معاند، فيذكر أولا: المعجزات الحسية كانشقاق القمر، ونبع الماء من بين أصابعه الشريفة، وشهود الجمادات له، ومعجزة دعوته للشجرة التي لبت نداءه وشهدت له بالنبوة، ويضمن كلامه بعض إرهاصات النبوة التي ذكرت في كتب السيرة النبوية كإضاءة قصور الشام، ثم يختم بذكر معجزته الخاتمة الخالدة التي أعجزت البلغاء، وفاقت قدرة القدماء من فصحاء العرب أمثال قس بن ساعدة الأيادي، وسحبان وائل، ألا وهي المعجزة العقلية القرآن الكريم، وقد أجاد الشاعر في جمعه بين المعجزتين الحسية والعقلية، ثم ختامه بالمعجزة العقلية الخالدة وفيه إشارة إلى إكباره لجانب العلم والثقافة، وإظهار مكانة المعجزة العقلية وبيان بقائها وديمومتها.

ويرى الشاعر أن القوافي مهما بلغت من جودة، أو حاول أن يحاكي بها كبار الشعراء فلن تستطيع أن تحيط بوصفه أو أن توفيه حقه، وكيف هذا وهو صاحب الأصل الطيب والنسل الشريف، الذي فاق به العرب والعجم، يقول: (١)

أَيَا خَيْرَ أَهْلِ الْأَرْضِ بَيْتًا وَمُحْتَدًا ... وَأَكْرَمَ كُلِّ الْخَلْقِ عُجْمٍ وَعُرْبَانِ

فَمَنْ لِلْقَوَافِي أَنْ تُحِيطَ بِوَصْفِكُمْ ... وَلَوْ سَاجَلَتْ سَبْقًا مَدَائِحَ حَسَّانِ

أَجِزْنِي إِذَا أَبْدَى الْحِسَابُ جَرَائِمِي ... وَأَثْقَلَتِ الْأَوْزَارُ كِفَّةَ مِيْزَانِي

فَأَنْتَ الَّذِي لَوْلَا رَسَائِلُ عِزِّهِ ... لَمَا فُتِحَتْ أَبْوَابُ عَفْوٍ وَغُفْرَانِ

نلحظ في البيتين الأخيرين أن الشاعر استنجد بالنبي (ﷺ) وطلب منه أن يشمله بالشفاعة، فلولاه (ﷺ) ما فتحت أبواب العفو والمغفرة لأحد، يشير بذلك إلى شفاعة النبي لأمته يوم القيامة.

(١) نزهة الحادي، صـ ١٤٩.

ثم ينتقل الشاعر ليجمع بين مديحه للنبي (ﷺ) ومديح الصحب الكرام، فيسلم على النبي ثم يرسل سلامه لصحابته يقول: (١)

عَلَيْكَ سَلَامُ اللهِ مَا هَبَّتْ الصَّبَا وَمَاسَتْ عَلَى كُثْبَانِهَا مُلْدُ قُضْبَانِ(٢)
إِلَى الْعُمَرَيْنِ صَاحِبَيْكَ كِلَيْهِمَا وَتِلْوِهِمَا فِي الْفَضْلِ صِهْرِكَ عُثْمَانِ
وَحَيِّ عَلِيًّا عَرْفُهَا وَأَرِيْجُهَا وَوَالِي عَلَى سِبْطَيْكَ أَوْفَرِ رِضْوَانِ(٣)

وأرى أن الشاعر تأثر في صنيعه هذا بمدحة كعب ابن زهير تـ٢٤هـ في قصيدة البردة التي تعد "تاج المدائح النبوية"، فقد جمع كعب فيها بين مديح النبي (ﷺ) ومديح الصحابة، وهو ما يظهر احتذاء شعراء المغرب الأقصى منهج شعراء المشرق العربي، وترسم خطاهم والتزام التقاليد التي انتهجوها في تقصيدهم القصيد، ولا غرابة في ذلك فإن شعراء المديح النبوي شرقا وغربا يجمعهم الحب الصادق للنبي(ﷺ) فما قصائدهم إلا لون من" التعبير عن العواطف الدينية، وباب من الأدب الرفيع، لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص".(٤)

ومهما يكن من أمر فمن خلال عرض هاتين القصيدتين نستنتج أن شعراء هذا القطر كانوا ينهجون نهج المشارقة في قصيدة المديح النبوي، فيستفتحونها بحديث غزلي عن الحبيب فيذكرون الشوق، ويجمعون في المطلع بين الحديث عن ألم الفراق وذكر المرابع والديار والرحلة، ثم يتخلصون لمديح النبي (ﷺ)، فيصلون ويسلمون عليه، ثم يظهرون إجلالهم وحبهم لنبيهم وبيان

(١) نزهة الحادي، صـ ١٤٩.

(٢) مَلِدَ الغُصْنُ : اِهْتَزَّ ولاَنَ، وعودٌ أملدُ : ليِّن طريّ، والناعم من الغصون. والقَضْبُ : كل شجرة طالت وبسطت أَغصَانها.

(٣) العَرْفُ : الرائحةُ مطلقًا، وأَكثر ما يُستعمَلُ في الطَّيِّبَةِ منها. والسِّبْطُ : ولدُ الابن والابنة.

(٤) المدائح النبوية في الأدب العربي، د/ زكي مبارك، ط دار الكتاب العربي١٩٣٥، ص١٤.

مكانته وقدره، ثم يذيلون ذلك بالثناء عليه والدعاء له، وكثيرا ما كانوا يذكرون معجزاته، وإرهاصات النبوة، كما استنجدوا به (ﷺ)، وجعلوا قصائدهم دليل حب وقربة يفوزون بها بصحبته وينالون بسببها شفاعته. ولا نغفل جانب الجودة الفنية، والعمق في كثير من أبيات تلك القصائد، مع ما امتازت به من براعة التصوير، وانتقاء الألفاظ –وإن لم يوفقوا في بعضها– وهو ما يظهر جانب النضج الفني لكثير من شعراء هذه الحقبة وذاك القطر، كما يعلي من قيمة هذه القصائد وضرورة الوقوف معها بإعادة نشرها ومحاولة التحليل الفني لها.

ثالثا : شعر الرثاء:

يأتي فن الرثاء في شعر الكِتاب في المرتبة الثانية بعد فن المديح كثرة وجودة فنية، وقد جاءت المراثي التي رواها "الإفراني" منوعة المضامين ما بين رثاء الملوك، ورثاء العلماء، ورثاء النفس، ورثاء المدن والممالك.

فمن نماذج **رثاء الملوك** ما رواه "الإفراني" عن مقتل السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ المهدي، فرثاه الشاعر عبد العزيز بن محمد الفشتالي على القبر فقال من البسيط : (١)

حَـــيٍّ ضَـــرِيْحًا تَغَمَّدَتْـــهُ رَحمَـــاتُ ... وَظَلَّلَتْ لَحْدَهُ مِنْهَا غَمَامَاتُ (٢)

وَاسْتَنْشِقَنْ نَفْحَةَ التَّقْدِيْسِ مِنْهُ فَقَدْ ... هَبَّتْ مِنَ الْخُلْدِ لِيْ مِنْهَا نُسَيْمَاتُ

لِمَوْتِهِ كُدِّرَتْ شَمْسُ الْهُدَى فَكَسَتْ ... مِنْ أَجْلِهِ السَّبْعَةَ الْأَرْضِيْنَ ظُلْمَاتُ

يَا مُهْجَةٌ غَالَهَا غُوْلُ الرَّدَى قَنَصًا ... وَأَثْبَتَتْ سَهْمَهَا فِيْهَا الْمَنِيَّاتُ(٣)

دُكَّتْ لِمَوْتِكَ أَطْوَادَ الْعُلَا صَعَقًا ... وَارْتَجَّ مِنْ نَعْيِكَ السَّبْعُ السَّمَاوَاتُ

وَشَيَّعَتْ نَعْشَكَ الْمُزْجَى إِلَى عَدَنٍ ... مِنَ الْمَلَائِكِ أَلْحَانٌ وَأَصْوَاتُ

كَانَ الثُّرَيَا صَعِيْدًا تَعْتَلِيْهِ وَقَدْ ... أَصْبَحْتَ تَحْتَ الثَّرَى تَعْلُوْكَ ذَرَّاتُ

---

(١) نزهة الحادي، صـ ٤٤.

(٢) يوجد كسر عروضي بالشطر الأول من البيت.

(٣) الغُولُ : كلُّ ما أَخَذَ الإنسانَ من حيث لا يدري فأَهلكه.

يَـا رَحْمَـةَ اللهِ عَاطِيْـهِ سُـلَافَ رِضَـى تَـدُوْرُ مِنْهَـا عَلَيْـهِ الـدَّهْرُ كَاسَـاتُ

يقف الشاعر على قبر السلطان وقد تملكت منه عاطفة الفقد، فيظهر وقع المصيبة على نفسه، فيحسن المطلع حين يطلب ممن وقف على القبر – حقيقة، أو مجازا على طريقة التجريد– أن يحيي مَن بالقبر من خلال الدعوات له، ويحاول أن يسبغ على القبر مشهد التقديس ضمنا وصراحة؛ فيسميه ضريحا ولا يسمى ضريح إلا قبر الصالحين، كما يصور حالة السكون والأريحية التي استشعرها حينما وقف على القبر بسبب الرحمات التي تنزلت، والنسمات التي هبت من جنان الخلد، وينتقل الشاعر ليصور أثر وقع المصيبة على الكون كله من حوله، فقد كدرت شمس الهدى لموته، وكسيت الأرضين السبع ظلمات، ودكت لموته صروح العلا، وارتجت من أصوات نعيه السبع السماوات، والكلام كله مبني على المجاز وحسن التصوير، ثم يصور حب المتوفى في قلوب الجميع من خلال محاولة رسم مشهد تشييع نعشه الذي شيع إلى جنة عدن بأصوات الملائك، من باب المبالغة في القول، ويضمن أبياته حكمة الموت من خلال توظيف المفارقة التصويرية التي تنبثق من مقابلة شطري البيت السابع فبعد أن كان يعتلي الفقيد الثريا بقدميه في حياته، أصبح تحت الثرى تعلوه ذرات رماله بموته، ثم يختم الأبيات بالدعاء له بالرحمة التي تتنزل عليه في قبره في صورة طريفة، بالكأس الممتلئ بالسُلاف وهي أجود أنواع الخمر الذي يدور الساقي به على القوم لحظوتهم عند من يضيفهم، وإن كنت أرى أن هذه الصورة لا تتناسب ومقام الموت وجلال الموقف، وعلى غرار هذه الأبيات جاءت مراثي الملوك والأمراء والتي لم تبتعد مضامينها عن تصوير مكانة المتوفى في قلوب محبيه، وما كان يتمتع به من صفات كالشجاعة والكرم وحماية بلاد الإسلام والذب عنه ضد الأعداء.[1]

(١) ينظر شعر المراثي بالكتاب، صـ ١٨٩، ٢٤٣، ٢٥٧.

ومن نماذج شعر **رثاء النفس** ما نُقش على شاهد القبر على لسان أحد الملوك وقد رواه "الإفراني" في كتابه وهو يتحدث عن " ذكر الخبر عن وفاة السلطان أبي محمد عبد الله الغالب بالله وسببها وكيفيتها " فقال: ومما قيل في وفاته، ونقش على رخامة قبره، من الطويل :(١)

أَيَا زَائِرِي هَبْ لِي الدُّعَاءَ تَكَرُّمًا ... فَإِنِّي إِلَى فَضْلِ الدُّعَاءِ فَقِيْرُ
وَقَدْ كَانَ أَمْرُ الْمُؤْمِنِيْنَ وَمُلْكُهُمْ ... إِلَيَّ وَصِيْتِي فِي الْبِلَادِ شَهِيْرُ
فَهَا أَنَا هَذَا صِرْتُ مُلْقىً بِحُفْرَةٍ ... وَلَمْ يُغْنِ عَنِّيْ قَائِدٌ وَوَزِيْرُ(٢)
تَزَوَّدْتُ حُسْنَ الظَّنِّ بِاللهِ رَاجِمِيْ ... وَزَادِي بِحُسْنِ الظَّنِّ فِيْهِ كَثِيْرُ
وَمَنْ كَانَ مِثْلِي عَالِمًا بِجِنَانِهِ ... فَذَاكَ بِنَيْلِ الْعَفْوِ مِنْهُ جَدِيْرُ
وَقَدْ جَاءَ أَنَّ اللهَ قَالَ تَفَضُّلًا ... إِلَى مَا يَظُنُّ الْعَبْدُ بِيْ سَيَصِيْرُ

ضمن الشاعر أبياته معاني الحكمة والاتعاظ بحقيقة الحياة، فالدنيا زائلة ونعيمها إلى نفاد، وأن الإنسان مهما بلغ فيها من مكانة أو حقق من منزلة، فإن نهايته إلى حفرة يلقى فيها، ولن ينفعه إلا عمله وحسن ظنه بربه، وهذه إحدى أنماط الشعراء في الرثاء حيث التفكر " في حقيقة الموت والحياة، وقد ينتهي بهم هذا التفكير إلى معان فلسفية عميقة.."(٣) وإن لم يصل الشاعر إلى هذه الدرجة من العمق في أبياته، وقد وظف الشاعر أسلوب الاقتباس من النص الديني فضمن شطر بيته الأخير حديث رب العزة الذي يقول فيه: " أنا عند ظن عبدي بي..".(٤)

---

(١) لم يذكر الإفراني قائل الأبيات، وبحثت عنها فلم أتمكن من الوقوف على قائلها، ينظر : نزهة الحادي صـ ٥٦.

(٢) في نسخة الثانية "فها أنا ذا صرت" ، بدلا من "هذا" والصوب ما أثبته حتى لا ينكسر الوزن.

(٣) فن الرثاء ، د/ شوقي ضيف، ط دار المعارف (القاهرة)، ط الرابعة ١٩٩٥م، صـ٦.

(٤) الحديث رواه أبو هريرة، وهو في الصحيحين البخاري برقم (٧٤٠٥)، ومسلم برقم (٢٦٧٥) .

والأبيات مع قرب معانيها، وسهولة ألفاظها، ورشاقة أساليبها، وخفة موسيقاها، تتضح منها عاطفة الصدق وحرارة التأثير؛ ولعل سبب ذلك هو عدم تكلف الشاعر شيئا من عناصر التجربة فجاءت معانيها وأفكارها سهلة طيعة.(١)

ومن نماذج شعر **رثاء العلماء** ما رواه "الإفراني" تحت عنوان "ذكر الخبر عن قتل محمد بن عبد الله العياشي وسببه وما وقع في ذلك"، قال: "وقد رُثِى سيدي محمد العياشي بقصائد كثيرة منها ما قاله الفقيه الأديب البليغ الأريب أبو العباس أحمد الدغوغي"،(٢) والقصيدة ربت أبياتها على الخمسين بيتا منها قوله من البسيط :(٣)

يَا عَيْنُ وَيْحَكِ سُحِّي وَاذْرِفِي وَكُفِي ... وَيَا فُؤَادِي تَفَتَّتْ وَالْزَمِ الْكَمَدَا
مَاتَ السُّرُوْرُ فَسَاءَتْكَ الشُّرُوْرُ وَقَدْ ... سَرَّتْ وَفَاةُ نَصِيْرِ الْحَقِّ مَنْ عَنَدَا
الْقَائِمُ الصَّائِمُ الْمُحْيِي اللَّيَالِي فِي ... رِبَاطٍ بِالشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ مُجْتَهِدَا(٤)
الْعَالِمُ الدَّائِمُ الْحُرُوْبِ فِي مَدَدٍ ... وَالْيَوْمَ صَوْمًا وَصَوْنًا لِلْعُلَا اعْتَمَدَا
لَا خَطْبَ أَفْظَعُ مِنْ هَذَا الْمُلِمِّ لَقَدْ ... دَهَى وَأَذْهَلَ حَتَّى لَمْ يَدَعْ جَلَدَا
بَحْرُ الْكَرَامَاتِ رُوْحُ الْمَكْرُمَاتِ مَضَى ... غَيْظُ الْحَسُوْدِ وَحِيْدُ الْعَصْرِ مُنْذُ بَدَا
وَقُرَّةُ الْعَيْنِ قَاهِرُ الْبُغَاةِ غَدَا ... وَعِصْمَةُ الدِّيْنِ وَالدُّنْيَا مَعًا لُحِدَا

(١) من نماذج شعر رثاء النفس ينظر: نزهة الحادي، صـ ٣٣، ٣٤.
(٢) أحمد الدغوغي من موالي أهل الدلاء، نشأ فيهم وبرع في الأدب وكان مداحا هجاء لا يكاد يسلم من هجوه أحد، انظر : الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، تأليف محمد حجي، (د – ن) ط الثانية ١٩٨٨م.
(٣) نزهة الحادي، صـ ٢٧٢.
(٤) يوجد كسر عروضي بالشطر الثاني من البيت.

الأبيات نفثة مكلوم ودمعة مثخون، تنضح صدقا وحرارة، ولِمَ لا ؟ والشعر " في المراثي إنما يقال على الوفاء، فيقضي الشاعر حقوقا سلفت، أو على السجية إذا كان الشاعر قد فجع ببعض أهله.. والعرب التزموا في ذلك مذهبًا واحدًا؛ وهو ذكر ما يدل على أن الميت قد مات، فيجمعون بين التفجع والحسرة والأسف والتلهف والاستعظام.. ثم يذكرون صفات المدح مبللة بالدموع.."[١]، فالشاعر تذرف عينه، ويتفتت فؤاده، ويتصدع كبده، أسفا وحسرة على الشيخ ومن ثم فقد لجأ إلى وصف الكارثة وتفخيم آثارها، من خلال ذكر فضائل الميت وتعداد صفاته فهو" الْقَائِمُ، الصَّائِمُ، الْمُحْيِي اللَّيَالِي فِي رِبَاطٍ بِالشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، الْعَالِمُ، الدَّائِمُ الْخُرُوْبِ، بَحْرُ الْكَرَامَاتِ، رُوْحُ الْمَكْرُمَاتِ، غَيْظُ الْحَسُوْدِ وَحِيْدُ الْعَصْرِ.."، وروعة الأبيات في أن الشاعر جمع بين صفات الدين والدنيا فهو صائم قائم، وفارس شجاع دائم الحروب، بحر الكرامات لورعه وتقواه، وروح المكرومات لجوده وجده.

بكاء الديار :

من مضامين شعر الرثاء التي ذكرها "الإفراني" في كتابه التاريخي بكاء الديار، وذلك في ثنايا حديثه عما وقع بين مَلِكَي إفريقيا وتونس – وكانا أخوين – من خلاف، نشبت بسببه حروب ترتب عليه سقوط تونس في أيدي ملك النصارى، الذي خربها بجنوده وشرد أهلها ونكل بهم وأحرق ديارهم قال: " ذكر المنجور في فهرسته[٢] أن أبا الطيب الظريف التونسي كان واعظا بجامع الزيتونة رحل لفاس بعد أخذ العدو لتونس فخاطبه قاضي الجماعة بفاس أبو الحسن على بن هارون رحمه الله بأبيات"[٣] منها قوله (من الرمل): [٤]

(١) تاريخ آداب العرب، للرافعي، ط دار الكتاب العربي، ط الثانية ١٩٧٤م، جـ٣، صـ١٠٦.

(٢) هو الشيخ العلامة الفقيه أحمد بن الأمين أبي زيد عبد الرحمن المنجور، مغربي مالكي توفي بفاس ٩٩٥هـ .

(٣) بحثت عنه ولم أقف له على ترجمة.

(٤) نزهة الحادي، صـ ٦٠.

شَـاقَكَ الْغَيْـثُ إِذَا الْغَيْـثُ انْهَمَـرْ حَضْـرَةَ الْأُنْـسِ الْبَـدِيْعِ الْمُـؤْنِسِ
لَـمْ يَكُـنْ إِلَّا كَلَمْـحٍ بِالْبَصَـرْ أَوْ بَرِيْـقٍ لَاحَ لِـي يَـا تُوْنِـسِ
يَـا لَهَـا مِـنْ فَجْـعَةٍ زِيْـد الْخَبَـرْ أَنَّهَـا شَقِيْـقَةُ الْأَنْدَلُـسِ
كَـمْ خُـدُوْدٍ فِـيْ وُجُـوْهٍ كَالْقَمَـرْ خَـدَّهَا دَمْـعٌ جَـرَى مِـنْ نَـرْجِسِ
حَالِكَـاتٍ غَيَّـرَتْ مِنْهَـا الصُّـوَرْ ذُلُّ أَسْـرٍ بَعْـدَ عِـزِّ الْأَنْفُـسِ
أَصْـبَحُوا أَسْـرَى بِأَيْـدِي مَـنْ كَفَـرْ مُلِّكَـتْ أَرْقَـابُهُمْ بِالْأَفْلُـسِ
يَـا لَتُـرْكٍ بِقَـسِيٍّ وَوَتَـرْ أَخْرِجُـوْهُمْ مِـنْ ظَـلَامٍ حِنْـدِسِ[1]
وَاسْـتَعِيْنُوا بِعَلِـيٍّ وَعُمَـرْ وَأَبِـيْ بَكْـرِ الرَّضِـيِّ مَـعْ أَنَـسِ
وَارْغَبُـوا اللهَ مَسَـاءً وَبَكَـرْ فَعَسَـى فَـتْحٌ مِـنَ اللهِ عَـسِ
رَبِّ بَشِّـرْنِى بِنَصْـرٍ وَظَفَـرْ عَـاجِلاً قَبْـلَ حُلُـوْلِ الـرَّمَسِ
وَأَرَى الْكَـافِرَ مَقْبُوْضًـا يُجَـرْ بِارْتِفَـاعِ الْبِـيْضِ فَـوْقَ الْأَرْؤُسِ

ينسج الشاعر قصيدته على غرار قصيدة الشاعر الأندلسي لسان الدين بن الخطيب التي بكى فيها الأندلس، قال في مطلعها من الرمل:

جَـادَكَ الغَيْـثُ إذا الغَيْـثُ هَمَـى يَـا زَمَـانَ الوصْـلِ بالأنـدَلُسِ
لَـمْ يَكُـنْ وصْـلُكَ إلاّ حُلُمًـا فِـي الكَـرَى أو خِلسَـةَ المُخْـتَلِسِ

فالشاعر يعارض هذه القصيدة حيث اتفقتا في الغرض والوزن والقافية، وهو ما يظهر مدى تأثر شعراء بلاد المغرب بالموروث الشعري الأندلسي.

ونعود إلى القصيدة لنجد الشاعر يستهلها – ببراعة استهلال – بمطلع يصور من خلاله فجاعة الخطب، وأن ما نزل بتونس من مصائب وقع في لمح البصر– وفيه اقتباس واضح من القرآن الكريم–، أو كوامض سريع بَرَق فهو شبيه بما حل ببلاد الأندلس، ومن ثم فقد آثر أن يبكيها على منوال الشعر الأندلسي، فعارض بقصيدته إحدى قصائد الشعر الجهيرة ذائعة الصيت في

(١) الحندس: الليل الشديد الظلمة.

رثاء الأندلس، ثم يأخذ الشاعر في تصوير ما حل بتونس من نكبات ومصائب صيرت أصحاب الخدود الناضرات حالكات باكيات، بعد أن ذاقت مرارة الهزيمة وذل الأسر، ثم يحاول أن يضع حلولا لاستعادة البلاد من أيدي غاصبيها، فيرى أن يستنجد السلطان بحلفائه من الترك ويدعوهم لأن يعدوا العدة لنصرته، كما يدعو المسلمين للاقتداء بهدي الصحابة، والاستعانة بمن ينهج نهجهم من الحكام في بلاد الإسلام ممن يغارون لانتهاك حرمة الدين، كما يدعو للاستعانة بالجانب الإيماني وعدم إغفاله والذي يتمثل في الدعاء والتضرع لله بكرة وعشيا، ثم يختم أبياته بدعاء ربه أن يعجل بالنصر فيراه قبل أن يحين حينه ويوارى الرمس، وأن ينعم برؤية الكفار وقد علا رؤوسهم المشرفي... ولا يخفى ما استعان به الشاعر من أساليب وأدوات تصويرية متعددة ساعدته على التعبير عن أفكاره بوضوح كما ميزت أبياته بصدق العاطفة، كاستخدام أسلوب التهويل في قوله: (يا لها... ، ويالترك)، وكم الخبرية التي تفيد التكثير في قوله: (كم خدود)، والتصوير بالتشبيه في قوله: (كلمح بالبصر، وكالقمر)، والتصوير بالكناية أكثر من مرة في مقابلة آسرة فتارة يكني عن النساء الجميلات المدللات التي طالما عاشت في رغد بقوله (كم خدود في وجوه...)، ثم يكني عن الذل والشقاء وكسر الأسر بقوله : (خَدَّهَا دَمْعٌ جَرَى، وقوله : حَالِكَاتٍ غَيَّرَتْ مِنْهَا الصُّوَرْ) كما استعان بالتصوير بالطباق بين الذل والعز في قوله: (ذُلُّ أَسْرٍ بَعْدَ عِزِّ الْأَنْفُسِ..)، والذي جاء طبعا غير متكلف ليعمق المعنى ويكسبه الحرارة وقوة التأثير، كما أجاد في استخدام الأساليب الإنشائية وتنويعها ما بين أمر ودعاء كما في قوله: (واستعينوا، وارغبوا، رب بشرني) والذي جاء في ختام الأبيات.

وإن كنت آخذ على الشاعر ركاكة أسلوبه وضحالة المعنى في الشطر الثاني للبيت السادس الذي يقول فيه: " **مُلِّكَتْ أَرْقَابُهُمْ بِالْأَفْلُسِ** "، فكلمة أَفْلُس جمع فَلْس بمعنى خسارة، ويقصد أنهم ملكت رقابهم وبيعوا كالعبيد بثمن بخس

أو بغير ثمن، فالكلمة قلقة في موضعها غير بينة المراد، وأرى أن التزام حرف القافية –الروي– هو الذي أوقعه في ذلك.

ومهما يكن من أمر فعلى هذا المنوال موضوعيا وفنيا جاء شعر بكاء الديار بالكِتاب، ووردت روايته في صورة قصائد، ومقطوعات شعرية.(١)

رابعا : شعر الوصف :

من أبرز الموضوعات الشعرية التي اشتمل عليها الكتاب –موضوع الدراسة– شعر الوصف، بيد أن "الإفراني" لم يروِ منه إلا ما تتضمن وصف **المباني والقصور**، وهذا ليس بمستغرب نظرًا للسياقات التي كانت تذكر فيها هذه القصائد، كأن يؤرخ الشيخ لحاكم فيذكر ما شيده من قصور أو بناه من دور، الأمر الذي يستلزم ذكر ما دبجه الشعراء شعرًا رائقا في جمال وروعة هذه المباني، وهو شبيه بما فعله الأندلسيون في شعرهم من وصف القصور، وكذلك ما فعله شعراء المشارقة من قبل حينما ارتقت الحضارة وتطور العمران في العصر العباسي، فوصف" النميري " قصور مدينة بغداد، وكذلك رسم لنا "إبراهيم الصولي " بريشته أجمل وصف لقصر العروس للمتوكل، والشاعر البحتري الذي أبدع فوصف القُصور في عصره كقصيدته في قصر الجعفري وغير ذلك..

ومن نماذج هذا اللون من الشعر ما رواه "الإفراني" وهو يتحدث عن بناء المنصور – لقصر سماه– "البديع"، قال: " كان السبب الحامل للمنصور على بناء "البديع" وإنفاقه فيه جلائل الأموال ونفائس الذخائر؛ هو أنه أراد أن تكون لأهل البيت به مأثرة وشفوف على دولة البربر، وغيرهم من المرابطين والموحدين ومن بعدهم من بني مرين، فكان كلٌ من أهل تلك الدول ابتنى بناء يحيي به ذكره... فلما انتهى من بنائه قال الشعراء فيه الأشعار المرقومة في الأستار، والأبيات المنقوشة في الخشب والزليج والجبص ما يسر الناظر

(١) نزهة الحادي، صـ ١١٣، ١١٤.

ويروق التأمل ويبهر العقول...".[١] وقد أكثر "الإفراني" من رواية القصائد الشعرية عند حديثه عن هذا القصر خاصة، فروى تسع قصائد طوال منها ما بلغت عدة أبياتها سبعة وثلاثين بيتا، بالإضافة إلى تسع قطع شعرية أخرى، وبعض النتف، وهذا إن دل فإنما يدل على الإعجاب الشديد لشعراء هذه الحقبة وعنايتهم بهذا الجانب من الأغراض الشعرية وغزارته في نتاجهم.

قال "الإفراني" في ثنايا حديثه عن الشعر المنقوش على جدران هذا القصر وقبابه وأستاره وأبوابه: "... فمن ذلك ما نقش خارج القبة الخمسينيّة، – قال في نفح الطيب وإنما سميت بالخمسينية لأن فيها خمسين ذراعا بالعمل– من إنشاء الكاتب البليغ أبي فارس الفشتالي على لسان تلك القبة المذكورة". قال في مطلعها من الطويل:[٢]

سَمَوْتُ فَخَرَّ الْبَدْرُ دُوْنِي وَانْحَطَّا وَأَصْبَحَ قُرْصُ الشَّمْسِ فِي أُذُنِي قُرْطَا
وَصُغْتُ مِنَ الْإِكْلِيْلِ تَاجًا لِمِفْرَقِي وَنِيْطَتْ بِيَ الْجَوْزَاءُ فِي عُنُقِي سِمْطَا
وَلَاحَتْ بِأَطْوَاقِي الثُّرَيَّا كَأَنَّهَا نَثِيْرُ جُمَانٍ قَدْ تَتَبَّعْتُهُ لَقْطَا
وَعَدّيْتُ عَنْ زُهْرِ النُّجُوْمِ لِأَنَّنِي جَعَلْتُ عَلَى كَيْوَانِ رِجْلِي مُنْحَطًّا[٣]

شحذ الشاعر طاقته الشعرية ليبرز للمتلقي جمال القصر من خلال وصف إحدى قبابه، فاستعان لذلك بالتصوير بالاستعارة المكنية، فصوره في صورة شخص يتيه فخارًا مُظْهِرًا اعتزازه بمنزلته التي ارتقى إليها، وبيان مكانته وما هذا إلا ليلمح إلى مآثر مَلِيْكِه، والإشادة بِمُلكه والفخر بما صنع وحقق حتى طاول بصنيعه النجوم، فصاغ من قرص الشمس إكليل ملكه، وطوق عنقه بقلادة نظمت دُررا من الكواكب، وقد جعل الجوزاء واسطة هذه القلادة

(١) نزهة الحادي، صـ ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٢) السابق، صـ ١٠٤ .

(٣) كَيْوَانِ: كوكب أو نجم يقال له زحل، وهو لفظ معرب، معجم العين: مادة " كيوان"، الخليل ابن أحمد، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، الهلال، د.ت.

الثمينة الفريدة، كما رمز إلى منزلة السلطان وظهوره على ملوك عصره بقوله " **جَعَلْتُ عَلَى كِيْوَانِ رِجْلِي مُنْحَطًّا**"، وكيوان وإن كان نجما إلا أنه يوحي بمعاني الرفعة والشموخ، ويبدو أن الشعراء حديثا تأثروا باستخدام الشعراء قديما لهذا اللفظ فوظفوا الكلمة في نتاجهم في سياق شبيه بهذا السياق، فقد وردت هذه اللفظة في بيت للشاعر المصري إسماعيل صبري باشا تـ١٩٢٣م، وهو يصف الأهرامات ويفخر ببنائها قال من البسيط :(١)

أهـرامُهُم تِلْـكَ، حَـيّ الفَـنَّ مُتْخِـذًا مِـنَ الصَّـخْوْرِ بُرُوْجًـا فَـوْقَ كِيْـوَانِ

وأبرز السمات التي أحب أن أشير إليها في قصائد هذا اللون من الشعر أن قصائده تميزت بالوحدة من مطلعها فلم يقدم الشاعر لموضوعه بغزل أو بكاء أطلال أو وصف رحلة.. وإنما ولج إلى موضوعه وشحذ طاقة الشعرية التي أظهرت عاطفة الإعجاب بما يصف، بل والدهشة أحيانا لما يرى ويعاين.

وفي قصيدة ثانية يصف الشاعر "الفشتالي" القبة بمعنى قريب مما سبق، فجعلها تفخر بعلوها وتختال على غيرها من القباب بجمالها وبهائها، فقال على لسانها من بحر الوافر على روي النون:(٢)

عَلَـوْتُ دَوَائِـرَ الْأَفْـلَاكِ سَـبْعًا لِـذَاكَ الدَّهْـرُ مَـا أَلِفَـتْ سُكُـوْنَا
فَصُـغْتُ مِـنَ الْأَهِلَّـةِ وَالْحَنَايَـا أَسَـاوِرَ وَالْخَلاخِـلَ وَالْبَـرِيْنَا
تَكَنَّفَنِـيْ حِيَـاضٌ مَائِحَـاتٌ أَمَـامِيَ وَالشَّمَائِـلَ وَالْيَمِيْنَـا
يُعِيْـدُ جَمَالَهَـا الطَّـرْفُ انْفِسَـاحًا وَفِيْهَـا الْفُلْـكُ وَالْكَـوَرُ السَّـفِيْنَا
تَـدَافَعَ نَهْرُهَـا نَحْـوِيْ فَلَمَّـا تَلَاقَـى الْبَحْـرُ فِـي جَـرْيٍ دَفِيْنَـا
تَـرَى شُـهُبَ السَّـمَاءِ بِهِـنَّ غَرْقَـا فَتَحْسَـبُهَا بَهَـا الـدُّرَرَ الْمَصُـوْنَا

(١) ديوان إسماعيل صبري، تصحيح وضبط : أحمد الزين، ط لجنة التأليف والنشر ١٩٣٨م، صـ ١٧٤.

(٢) نزهة الحادي، صـ ١٠٦ .

يرسم الشاعر في أبياته صورة كلية لجمال وعظمة صنع هذه القبة على المستويين الحسي –الجمالي– والمعنوي – النفسي–، وذلك من خلال حديث القبة عن نفسها بصورة من العزة والإباء، فارتفاعها وصل لدرجة جعلتها تطاول أو تفوق دوائر الأفلاك السبعة، لتجد لها مسكنا في علياء لم يألف الدهر مثله من قبل، وقد وصلت بها الزينة أن صنعت لنفسها حَلْيا من الأهلة والنجوم، بعد أن التفت حولها من جميع الجهات، لاتساع الكون لها فكانت في انفساحها وسعة الفضاء لها بمثابة البحر المتلاطم موجه لتشقه بضخامتها وعظمها، كالفلك الماخر في عباب السماء وتتساقط الشهب من حولها لتكون كالدر المصون، فهي صورة كلية رحبة موحية، فالمعنى كله مبني على سعة الخيال الذي يتمتع به الشاعر من رحابة وسعة أفق، ولا غرابة لذلك في لغة الشعر، فالذي أعان الشاعر على صنع ذلك أن تجربته انبثقت من عاطفة إعجاب لا تتنافى والصدق الفني للتجربة الشعرية.(١)

خامسا: شعر الغزل :

من فنون الشعر التي رواها "الإفراني" في كِتابه التاريخي شعر الغزل، وقد جاءت روايته لهذا الفن على عدة صور، فتارة يورده في **مطالع قصائد المدح** لاسيما المديح النبوي –وإن غلب عليه الحس الصوفي أو الغزل الصوفي–، وكذلك روى بعض أشعار **الغزل مستقلة** وذلك عند تأريخه لأحد الأمراء أو ترجمته لأحد الأدباء، فيذكر من شعره قصيدة أو مقطوعة وربما نتفة غزلية، ومن صور شعر الغزل في المدونة ما يُروى ضمن ما روي من **فن التخميس** وسيأتي له حديث مستقل.

(١) ينظر السابق، صـ١٠٤، ١٠٦ ، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١٦٥.

فمن نماذج شعر الغزل في **مطالع القصائد**، ما رواه "الإفراني" في مطلع قصيدة المديح النبوي للشاعر أبي القاسم بن علي الشاطبي،(١) وقد استهلها بحديث عن الطيف والشوق، كما غلب عليها جانب الحس الصوفي، يقول من الكامل: (٢)

مَـا بَـالُ طَيْفِـكَ لَا يَـزُوْرُ لِمَامَـا وَبِمُنْحَنَـى الْأَحْشَـا ضَـرْبَتْ خِيَامَـا(٣)
أَيَعِـيْشُ فِيْـكَ عَـوَاذِلِي بِسِـهَامِهِمْ وَأَمُـوْتُ فِيْـكَ صَـبَابَةً وَغَرَامَـا
وَتُبِـيْحُ نَهْـرَكَ سَـائِلا مِـنْ أَدْمُعِـي أَوَ لَـيْسَ نَهْـرُ السَّـائِلِيْنَ حَرَامَـا؟
مَا ذُقْتُ مَاءَ لَمَاكَ فِي سِنَةِ الْكَرَى إِلَّا انْتَبَهْـتُ فَكَـانَ لِـي أَحْلَامَـا(٤)

فهذه الأبيات مطلع إحدى القصائد التي تميزت مطالعها بالطول فبلغ ثلاثة عشر بيتا، وفيه حديث غزلي عن الطيف والشوق ومكابدة تباريح الهوى، ويستمر الشاعر في التعبير عن هذه المعاني ووصف حاله حتى يصل إلى بيت التخلص، ثم يأخذ في غرضه الأصلي إلى آخر القصيدة التي بلغت عدة أبياتها سبعة وثلاثين بيتا.

ومن نماذج شعر الغزل التي رواها "الإفراني" **مستقلة** في صورة مقطعات أو نتف شعرية، قول الخليفة المنصور في محبوبة يصف جمالها من البسيط: (٥)

مِنْ عَنْبَرِ الشِّحْرِ أَوْ مِنْ مِسْكِ دَارِيْنِ بَلَـى وَمِنْـهُ نُسَـيْمَاتُ الرَّيَـاحِيْنِ(١)
مُهَفْهَـفٌ إِنْ تَثَنَّـى قُلْـتُ مُقْتَضَـبٌ مِنْ قَضْبِ نَعْمَانَ أَوْ مِنْ كُثْبِ يَبْرِيْنِ

---

(١) ولد سنة ٩٣٣هـ = ١٥٢٦ ، ينظر: الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، د/ محمد الأخضر، صـ ٥٨ .

(٢) نزهة الحادي ، صـ ١٤٨ .

(٣) اللمام : اللقاء اليسير، وهو يزور لماما : في الأحايين.

(٤) لَماك: (اسم) ما تلمَّلك بلَمَاك : ما ذاق شيئا .

(١) نزهة الحادي ، صـ ١٣٦ .

ذَنْبِـــي إِلَيْـــهِ وَلَا ذَنْـــبَ مَحَبَّتُـــهُ مِـنْ أَجْلِهَـا بِسِـهَامِ اللَّحْـظِ يَرْمِيْنِـي
مُعَـذِّبِي مُـذْ حُرِمْـتُ النَّـوْمَ بَعْـدَكُمُ فَـامْنُنْ عَلَـيَّ بَنَـوْمٍ غَيْـرِ مَفْتُـون

يحاول الشاعر أن يصور للمتلقي ما حبا الله به حبيبه من قسمات الجمال ومعالم الحسن فأريجها فواح، وجمالها ساحر، ثم ينتقل ليشكو مكابدة لواعج الشوق وتباريح الهوى، من خلال تصوير تمنعها وقسوتها عليه، وهو ما أقض مضجعه وذهب براحته.

وقد أظهرت الأبيات ثقافة الشاعر واطلاعه على نتاج السابقين، فقد ضمن شطر بيته الثاني قول ابن سناء الملك ت٦٠٨هـ:[٢]

دَعْ قضْبَ نَعْمَان أَو كُثْبانَ يَبرين مـا قَلَّـبَ القَلـبَ إلاَّ أَعـينُ العِـينِ[٣]

ومن نماذج شعر الغزل مما رواه "الإفراني" عند حديثه عن **فن التخميس** ما رواه في ثنايا حديثه عن تخميس بعض الأدباء لبعض أشعار الأمير أبي عبد الله بن محمد الشيخ الملقب بالمتوكل على الله قال : " وكان

=

(١) أطلق اسم " الشحر" على الساحل الجنوبي لجزيرة العرب بين عدن وعمان، وهو مأخوذ من مشحر الأرض، وهو مسبخ الأرض ومنابت الحموض. واشتهرت بعنبرها الذي لا نظير له. ينظر: مسالك الممالك للأصطخري، طبع ليدن بمطبع بريل ١٨٧٠م. قال الثعالبي: "عنبر الشحر يضرب به المثل، قال الشاعر:.. ولو كنت عطرا كنت من عنبر الشحر". ينظر: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب. تـ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار المعارف. صـ٥٣٥، ومسك دارين: المسك يُجلب من مدينة "دارين" في بلاد البحرين.

(٢) ديوان ابن سناء الملك، تح محمد إبراهيم نصر، مراجعة د/ حسين محمد نصار، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٨هـ = ١٩٦٩م، جـ٢، صـ ٤٥٥ .

(٣) يشير الشاعر في هذا البيت إلى مجنون بني عامر الذي كان يجوب رمل يبرين. ويبرين: أرض فيها رمل لا تدرك أطرافه عن يمين مطلع الشمس من حجر اليمامة.

فقيها مشاركا في الفنون، أديبا مجيدًا قوي العارضة نظما ونثرا ومن شعره"، من البسيط : [١]

سَارُوا فَسَارَ فُؤَادِي إِثْرَ ظَعْنِهِمُ وَخَلَّفُوْنِي نَحِيْلَ الْجِسْمِ حَيْرَانَا

لَا افْتَرَّ ثَغْرُ النَّدَى مِنْ بَعْدِ بَيْنِهِمُ وَلَا سَقَى هَاطِلٌ وَرْدًا وَرَيْحَانَا

قال وقد خمس هذين البيتين الفقيه الإمام الشيخ الأستاذ أبو العباس أحمد الزموري –رحمه الله– فقال: [٢]

اسْتَخْبرُوا خَبَرِي بَعْدَ انْفِصَالِهِمُ قَدْ أُضْرِمَتْ فِي الْحَشَا نَارُ بِعَادِهِمُ

وَصَبْوَتِي لَنْ تَرَى نَفْسِي لِغَيْرِهِمُ سَارُوا فَسَارَ فُؤَادِي إِثْرَ ظَعْنِهِمُ

وَخَلَّفُوْنِي نَحِيْلَ الْجِسْمِ حَيْرَانَا

قَدْ كَانَ صَفْوُ حَيَاتِي يَوْمَ قُرْبِهِمُ وَلَوْعَتِي فِي اقْتِرَابِيْ مِنْ بِسَاطِهِمُ

وَالْآنَ بُقِّيْتُ فِي فَيْفَا غَرَامِهِمُ لَا افْتَرَّ ثَغْرُ النَّدَى مِنْ بَعْدِ بَيْنِهِمُ[٣]

وَلَا سَقَى هَاطِلٌ وَرْدًا وَرَيْحَانَا

يصور الشاعر في أبياته ما أصابه بسبب البين، فما أن رحل حبيبه إلا وتفطر قلبه، ونحل جسده، حتى غدا كل شيء في الحياة في عينيه عابسا عند مرآه.

ولعل أبرز السمات الموضوعية لشعر الغزل في الكتاب أن الشعراء تناولوا المعاني العفيفة، فجاء شعرهم شعرًا عذريا يشكو فيه الشاعر ما أصابه

---

(١) نزهة الحادي ، صـ ٥٧، ٥٨ .

(٢) أبو العباس الزموري، الفاسي، قاضي، وإمام فقيه، أخذ عن عبد الواحد الونشريسي، وعبد الوهاب الزقاق وغيرهم، مولده بعد ٩٣٠، وتوفي سنة ١٠٥٧، ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، لمحمد مخلوف، المطبعة السلفية القاهرة، ١٣٤٩هـ ، صـ٨٣.

(٣) الفَيْفَاءُ : الفَيْفُ ، الصَّحْرَاء الوَاسِعَة..

من تباريح الهوى وصبوة الغرام، كما ابتعدوا عن الشعر الصريح أو الفاحش فلم أقف على أية أبيات تشتمل على ألفاظ أو معان تخدش الحياء.

ومهما يكن من أمر فعلى غرار هذه النماذج المذكورة جاء شعر الغزل في الكِتاب على صورة من الصور الثلاث المذكورة.[١]

سادسا : شعر الهجاء:

من الموضوعات الشعرية التي اشتمل عليها الكِتاب شعر الهجاء، بيد أن "الإفراني" لم يروِ منه إلا القليل فلم أقف إلا على قصيدة واحدة، وأربع مقطوعات بلغت عِدَّةُ أبيات اثنتين منها ستة أبيات لكل مقطوعة، وبلغت كل واحدة من الأخرتين أربعة أبيات، إضافة إلى نتفة، ووقعت هذه الأهاجي بين بعض المشايخ كأن يهجو أحدهم الآخر لوقوعه في خطأ أو ادعائه أمرا يخالف الشرع والعقل، أو يتهاجى كل منهما فيأتي هجاء الآخر ردا على الأول أو نقضا لما ادعاه على منوال مناقضات جرير والفرزدق، أو قمعا لمن خرج على الملك وأراد فتنة.

فمن نماذجه ما رواه "الإفراني" في ثنايا كتابه وهو يتحدث عن الشيخ الفقيه أبي العباس أحمد بن عبد الله أبو محلى،[٢] أنه وقعت بينه وبين الفقيه

(١) من نماذج شعر الغزل ينظر: نزهة الحادي، صـ ١٣٦،١٣٧، ١٣٨،١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٦٧.

(٢) هو أبو العباس أحمد بن عبد الله السجلماسي العباسي الفلالي يعرف بابن أبي محلى متصوف ثائر ولد سنة ٩٦٧هـ ، ١٥٦٠م وتوفي ١٠٢٢هـ ، ١٦١٣م ولد بفاس، وقيل إنه ادعى أنه المهدي المنتظر فكثر أتباعه، قتل بمراكش من قبل يحيى بن عبد الله، في الحملة المضادة التي قادها زيدان الناصر. يراجع عنه الأعلام لخير الدين الزركلي، والاستقصا لأخبار المغرب الأقصى.

أبي زكريا يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحيّ[١] مراسلات ومهاجات نظما ونثرا كقوله من الطويل: [٢]

أَيَحْيَى الْخَسِيْسُ النَّذْلُ مَالَكَ تَدَّعِى قَصِيْدًا وَأَشْعَارَ الْفُحُوْلِ الْأَوَائِلِ
كَدَعْوَاكَ مِنْ بَيْتِ النُّبُوَّةِ نِسْبَةً وَأَنْتَ دَنِيٌّ مِنْ أَخَسِّ الْقَبَائِلِ
وَوَجْهُكَ وَجْهُ الْقِرْدِ أَقْبَحُ مَا يُرَى وَرَأْسُكَ رَأْسُ الدِّيْكِ بَيْنَ الْمَزَابِلِ
وَشَدُّكَ تَعْمِيْمًا كَرَأْسِ عَجُوْزَةٍ مِنَ الرُّوْمِ أُقْعِدَتْ لِغَسْلِ الْمَنَادِلِ

تظهر الأبيات لونا من الهجاء الذي ينفس فيه الشاعر عن بغضه لأحد الأقران، ويبدو أنه هجاء نتج عن غيرة وحسد مما تمتلئ به بعض النفوس البشرية، فنراه يجرد أخاه الفقيه من كل فضيلة علما وأدبا ونسبا وخِلْقَة وخُلقا، مما أظهرته الأبيات.

ومن نماذج الهجاء ما رواه "الإفراني" في كتابه وهو يتحدث عن الشيخ الفقيه أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي– رحمه الله–[٣] من قصيدة يهجو بها بعض فقهاء أهل "سجلماسة"، قوله من البسيط : [٤]

حَيِّ الْأَحِبَّةَ عَنِّيْ أَيْنَمَا ذُكِرُوا وَخُصَّ مِنْ جِيْرَتِي قَوْمًا هُمُ الْغُرَرُ
وَلَا تُحَيِّيْ لِئَامًا قَدْ عَهِدْتُهُمُ سَجِيَّةٌ فِيْهِمُ الْإِيْذَاءُ وَالضَّرَرُ
وَقُلْ لِذَاكَ " السَّجَلْمَاسِيِّ" إِنَّ لَنَا عِرْضًا مَصُوْنًا فَلَا تَهْتِكْهُ يَا غُدَرُ

---

(١) يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحيّ الداوودي المناني أبو زكريا، فقيه متصوف مغربي، كانت له ولأبيه وجده، زاوية في جبل "درن" ببلاد السوس (في المغرب) ولهم أتباع كثيرون، استنجد به السلطان زيدان بن أحمد السعدي – صاحب مراكش– لما ثار عليه ابن محلي، تـ ١٠٣٥هـ،١٦٢٦م. الأعلام للزركلي،جـ ٨ ، صـ١٥٥.

(٢) نزهة الحادي، صـ ٢٠٣ ، ٢٠٦ بتصرف .

(٣) الحسن بن مسعود بن محمد أبو علي، نور الدين اليوسي، فقيه مالكي أديب، ينعت بغزالى عصره ولد ١٠٤٠هـ، وتوفي ١١٠٢هـ، الأعلام للزركلي، جـ٢، صـ٢٢٣.

(٤) نزهة الحادي، صـ ٢٩٠.

وَلَيْسَ مِنْ عَجَبٍ أَنْ كُنْتَ مُنْتَهِشًا لَحْمَ الْوَرَى فِعْلَ كَلْبٍ لَيْسَ يَنْزَجِرُ
فَإِنَّ أَسْلَافَكَ الْأَنْذَالَ قَدْ أَكَلُوا لَحْمَ الْكِلَابِ فَذَاكَ الطَّبْعُ مُدَّخَرُ

والأبيات وإن كانت معانيها قريبة من معاني الأبيات السابقة إلا أن بينهما فرقا في أسلوب التناول وطريقة عرض المعاني مما يظهر مقدرة شاعر عن آخر. وعلى هذا المنوال أتت نماذج شعر الهجاء في الكتاب.(١)

سابعا: أغراض ثانوية متنوعة:

اشتمل الكتاب على أغراض وفنون شعرية أخرى –إضافة لما سبق ذكره– لكنها لم تأت بنفس الكثافة والتركيز كالتي سبق ذكرها؛ وهي شعر الفخر، والتهاني، والحكمة، والحنين إلى الأوطان، والألغاز والمسائل العلمية والأجوبة، وفن الموشحات تأثرا بالموشحات الأندلسية ومن ثم معارضتها، وفن التخميس، والمعارضات احتذاء بنتاج الشعراء العرب في بلاد المشرق، لذا فسوف أكتفي بسردها في السطور الآتية معنونة مع ذكر نموذج لكل لون، بغرض وصف المادة وتصوير هذا اللون للقارئ ضمن الشعر المروي في الكتاب، وذلك تأييدا للإشكالية التي أثارها البحث والتي تقول بغزارة وتنوع المادة الأدبية التي اشتملت عليها الكتب التاريخية:

أ: الحنين إلى الأوطان:

روى "الإفراني" في ثنايا حديثه عن أحد العلماء الذين غربهم السلطان المنصور عن بلادهم، وهو الشيخ أبو العباس ابن إسحاق قال عنه:(٢) "وكان

(١) من نماذج شعر الهجاء ينظر: نزهة الحادي، صـ ١٦٦، ١٧٠، ١٧١، ٢٨٣.

(٢) هو أحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر التكروري التنبكتي السوداني، أبو العباس، مؤرخ، من أهل تنبكت في إفريقية الغربية، أصله من صنهاجة، من بيت علم وصلاح. وكان عالما بالحديث والفقه. وعارض في احتلال المراكشيين لبلدته= (تنبكت) فقبض عليه وعلى أفراد أسرته واقتيد إلى مراكش سنة ١٠٠٢ هـ، وظل إلى سنة ١٠٠٤ وأطلق فأقام بمراكش إلى سنة ١٠١٤ وأذن له بالعودة إلى وطنه. ينظر: الأعلام جـ ١، صـ٩٢.

يتشوق لرؤية بلدته – كاغوا– ويسكب عند ذكرها العبرات.. ومن شعره متشوقا إليها" قال من الطويل:(١)

أَيَا قَاصِدًا" كَاغْوَا" فَعُجْ نَحْوَ بَلْدَتِي ... وَزَمْزِمْ لَهُمْ بِاسْمِيْ وَبَلِّغْ أَحِبَّتِي
سَلَامًا عَطِيْرًا مِنْ غَرِيْبٍ وَشَائِقٍ ... إِلَى وَطَنِ الْأَحْبَابِ رَهْطِي وَجِيْرَتِي
وَعَزِّ أَقَارِبًا هُنَاكَ أَعِزَّةً ... عَلَى السَّادَةِ الْأُولَى دُفِنَتْ بِقَرْيَتِي
أَبِيْ زَيْدِهِمْ شَيْخُ الْفَضَائِلِ وَالْهُدَى ... وَصِنْوُ بَنِي عَمِّي وَأَقْرَبُ أُسْوَتِي
وَسَيْفِي بِسَيْفِ الْبَيْنِ سُلَّ لِفَقْدِهِمْ ... عَلَيَّ وَهَدَّ الْمَوْتُ رُكْنِي وَعُمْدَتِي

ب: شعر التهاني:

ورد شعر التهاني في الكتاب من خلال عدة مضامين ما بين تهنئة بالشفاء، وتهنئة بالفتح والنصر، ومن نماذجه ما رواه "الإفراني" عند حديثه عن مرض الخليفة المنصور الذي نزل به وطال لدرجة وصلت أن تختل الأمور في البلاد، حتى تداركه الله بالشفاء، قال: " وفي ذلك يقول الفقيه اللغوي الأديب أبو عبد الله الهوازالي المعروف بالنابغة" من الطويل: (٢)

تَرَدَّى أَذًى مِنْ سُقْمِكَ البَرُّ وَالْبَحْرُ ... وَضَجَّتْ لِشَكْوَى جِسْمِكَ الشَّمْسُ وَالْبَدْرُ
وَبَاتَ الْهُدَى خَوْفًا عَلَيْكَ مُسَهَّدًا ... وَأَصْبَحَ مَذْعُوْرَ الْفُؤَادِ النَّدَى الْغَمْرُ
فَلَمَّا أَعَادَ اللهُ صِحَّتَكَ الَّتِيْ ... أَفَاقَ بِهَا مِنْ غَمَّهِ الْبَدْوُ وَالْحَضْرُ
تَرَاءَتْ لَنَا الدُّنْيَا بِزِيْنَةِ حُسْنِهَا ... وَعَادَ إِلَى أَيَّامِهَا ذَلِكَ الْبِشْرُ
وَصَارَ بِكَ الْإِسْلَامُ فِيْ كُلِّ بَلْدَةٍ ... يُهَنِّي وَيَدْعُو أَنْ يَطُوْلَ لَكَ الْعُمْرُ
وَصَحَّتْ لَنَا الْآمَالُ بَعْدَ اعْتِلَالِهَا ... وَعَادَ إِلَى الْإِيْنَاعِ أَغْصَانُهَا الْخُضْرُ

(١) نزهة الحادي، صـ ٩٨.

(٢) السابق، صـ ٨٢، ومن نماذج شعر التهاني ينظر: صـ ٨٣، ١٦١، ١٦٢، ١٠٢.

ج: شعر النصائح والحكم:

روى "الإفراني" هذا اللون من الشعر ضمن ما رواه من أشعار في كتابه، فقد وقفت فيه على قصيدتين كاملتين بلغت أبيات إحداها ستة وعشرين بيتا، والأخرى أربعة وعشرين بيتا، إضافة لبعض المقطوعات الشعرية الأخرى، وهي غالبا ما تحمل نصحا للملوك بالحذر وعدم الغفلة أو اللهو، والعمل على توطيد الحكم، ومن ذلك قول الفقيه الأديب محمد بن سودة موجها نصحه للسلطان محمد الشيخ الأصغر أحد سلاطين الدولة السعدية، يقول:(١)

أَمُحَمَّدُ الشَّيْخُ بْنُ زِيْدَانِ الرَّضِيْ ... فَخْرُ الْخَلَائِفِ وَالْهُمَامُ الْأَفْضَلُ

....

إِنِّيْ أَبُثُّ لَكُمْ وَصَايَا جَمَّةً ... إِنْ أَنْتَ لِلنُّصْحِ الْمُصَرَّحِ تَقْبَلُ

فَإِلَى مَتَى طُوْلُ الرُّقَادِ أَمَا تَرَى ... أَظْعَانَ مُلْكِكَ كُلَّ يَوْمٍ تَرْحَلُ

وَالدَّهْرُ يَنْتِفُ فِيْ رِيَاشِ جَنَاحِكُمْ ... وَيُدَنِّسَنَّ مِنَ الصَّفَا مَا تَغْسِلُ

مَا مِنْ خَلِيْفَةَ ذَاقَ لَذَّةَ رَاحَةٍ ... إِلَّا تَحَلَّلَهُ الْهَوَانُ فَيَسْفَلُ

د: شعر الفكاهة:

روى "الإفراني" هذا اللون من الشعر ضمن ما ذكره من مواقف للسلاطين مع بعض الأدباء أو ما وقع في بعض أسفارهم لزيارة بعض الأصحاب وما يتخللها من نكات أو مضحكات، قال: " خرج المنصور يوما لزيارة الإمام أبي عبد الله الهزميري.. وكان معه الفقيه الأديب القاضي أبو مالك عبد الواحد الحميدي وكان لوذعيا خفيف الروح.. وذلك أن الفقيه الكاتب أبا زيد عبد الرحمن العنابي بعث بكبش سمين وعسل للقاضي الحميدي تحفة فكتب مداعبا بهذه الأبيات"، وهي من المتقارب: (٢)

---

(١) نزهة الحادي، صـ ٢٥٦، ومن نماذج شعر النصائح والحكم ١٢٧، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٧.

(٢) السابق، صـ ١٢١.

أَيَــا كَاتِــبَ السِّــرِّ يَــا مَــنْ بَــدَتْ مَحَاسِــنُهُ فِــي الْــوَرَى بَــاهِرَهْ
هَــدَيْتَ إِلَــيَّ الشِّــفَا وُصْــلَةً فَــأَكْرِمْ بِهَــا مِنْحَــةً ظَــاهِرَهْ
وَكَبْشــاً سَــمِيْنًا لَــهُ كُلْــوَةٌ تَفُــوْقُ الْكُلَــى نِعْمَــةً زَاهِــرَهْ
فَــلَا زِلْــتَ تُثْبِــتُ كُتْــبَ الْإِمَــامِ رُسُــوْمًا لِأَعْدَائِــهِ قَــاهِرَهْ

هـ : نظم الألغاز والمسائل العلمية وأجوبتها:

من صور النظم التي رواها "الإفراني" في كتابه نظم العلماء لبعض المسائل العلمية وأجوبتها، وهذا اللون لا يربطه بالشعر إلا كونه كلاما منظوما مقفى، لأنه خال من العاطفة والمشاعر والخيال، وقد جرى على ألسنة القضاة الفقهاء والعلماء، وهو إن دل فإنما يدل على مدى الاهتمام بالنشاط العلمي والحراك الثقافي السائد في هذه الحقبة الزمنية أو ذلك القطر، هذا من جهة ومن جهة أخرى فيه دلالة على تمكن هؤلاء العلماء من أدوات الفن والتي مكنتهم من نظم أسئلتهم وأجوبتها في قالب موزون مقفى، ومن نماذجه ما رواه "الإفراني" عن سؤال وجهه أحد أهل البادية للقاضي الحميدي عندما مر بخيمته وقد ألقى إليه قرطاسا كتب فيها ستة أبيات منها قوله من الطويل: (١)

إلــى علمــك العــالي مســائل ترتقــي تــيقظ لهــن يــا حميــدي واصــدق
فما الحكم في الأوزاغ هل ساغ أكلها وما الحكم في موتى المجانين فانطق
وهــل جــاز للمســبوق بعــد تشــهد دعــاه إذا مــا رام إكمــال مــا بقــى
ومــا وزن لــيس لــي يــا حبيــب وأصلــه ومــا جمــع قلــة لصــاع فحقــق

قال "الإفراني" فدفع بالقرطاس إلى المنجور فنظم له الجواب في ثمانية عشر بيتا على الوزن نفسه، والقافية نفسها منها قوله: (٢)

جوابــك فــي الأولــى إباحــة أكلهــا لمــذهبنا فــاجزم بــذاك وصــدق
كــذا ابــن حبيــب فــي الخشــاش أباحــه لمحتاجــه مثــل العقــارب فاســبق

(١) نزهة الحادي، صـ ١٣٣، ومن نماذج هذا اللون ما جاء في صـ ١٢٨،١٢٧، ١٦٧.
(٢) السابق، صـ ١٣٤.

وقـد قيـل فـي الأوزاع يحـرم أكلهـا وذلك في الكافي ليوسف فارتق

....

وميـت مجنـون جـرى خلـف حكمـه بعلـم كـلام لا تكـن غيـر متـق

وتحقيقهـــا أن الجنـــون إذا طـــرا يصير كموت فصل الحق فاعبق

وينـــدب للمســـبوق دعـــوى تشـــهد وفـاق إمـام فـي الملاحـة فـارتق

ولـــيس لـــه فعـــل كقـــال وأصـــله بكسر لياء فاكسر العين ترتق

وجمعـك صـاع فـي القليـل بأصـوع واصوع بهمز الواو انهج ونمق

و: فن الموشحات : [١]

من صور النص الشعري الذي رواه "الإفراني" في كتابه التاريخي شعر الموشحات، ومن نماذجه ما رواه عند حديثه عن السلطان المنصور قال: وقال الشريف الأديب أبي الفضل المعروف بابن العقاد المكي[٢] في مدح المنصور معارضا موشحة ابن سهل من الرمل: [٣]

---

(١) الموشحة منظومة غنائية لا تسير في موسيقاها على المنهج التقليدي، الملتزم لوحدة الوزن والقافية، وإنما تتعدد فيها القافية، وربما يتغير الوزن، ولكن مع التزام التقابل في الأجزاء المتماثلة، وهي أنواع فمنها: (التام، والأقرع)، ولها أجزاء: وهي (المطلع والأغصان ومنه الدور والقفل)، ينظر: دار الطراز في عمل الموشحات، ابن سناء الملك، تـ د/ جودة الركابي، ط الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر رقم(١٢٠)، عام ٢٠٠٤م، والموشحات الأندلسية، د/ سليمان العطار، ط الهيئة العامة لقصور الثقافة، يونيه ٢٠٠٣م.

(٢) أبو الفضل بن محمد العقاد المكي (٩٩٠هـ – ١٥٨٢م)،شاعر قدم من مكة وافداً على السلطان المنصور، ذكره المقري في كتاب نفح الطيب عند حديثه عن موشحات أهل العصر : منها قول أحد الوافدين من أهل مكة على عتبة مولانا المنصور. ينظر: معجم الشعراء العرب، المؤلف: تم جمعه من موقع الموسوعة الشعرية.

(٣) نزهة الحادي، صـ ١٢٨، ومن نماذج المعارضات – في غير الموشحات– ما روي في صـ ١٢١، ١٢٢، ١٢٣.

لَيْـتَ شِـعْرِي هَـلْ أُرَوِّي ذا الظَمَـا ... مِـنْ لَمـي ذَاكَ الثُّغَيْـرِ الْأَلْعَـسِ
وَتَـرَى عَيْنَـايَ رَبَّـاتِ الْحِمَـى ... بَاهِيَـاتٍ بِقُـدُوْدٍ مُـيَّسِ
يُـدْخِلُوْنَ السِّـلْمَ فِـيْ دَارِ الْلِـوَى ... كَلَـمَ الْهَجْـرُ فُـؤَادِي وَأَسَـرْ
هَـدَّ مِـنْ رُكْـنِ اصْـطِبَارِي وَالْقُـوَى ... مُبْـدِلًا أَجْفَـانَ نَـوْمِي بِالسَّـهَرْ
حِـيْنَ عَـزَّ الْوَصْلُ عَنْ وَادِي طُـوَى ... هَمَلَـتْ عَيْنِـيْ بِـدَمْعٍ كَـالْمَطَرْ
فَعَسَـاكُمْ أَنْ تَجُـوْدُوا كَرَمًـا ... بِلِقَـاكُم فِـي سَـوَادِ الْحَنْـدَسِ
وَتُـدَاووا قَلْـبَ صَـبٍّ مُغْرَمًـا ... مِـنْ جَرَحَـاتِ الْغُيُـوْنِ الـنُعَّس
كُلَّمَـا جَـنَّ ظَـلَامُ الْغَسَـقِ ... هَزَّنِـي الشَّـوْقُ إِلَـيْكُمْ شَـغَفًا
وَاعْتَرَانِـي مِـنْ جَفَـاكُمْ قَلَقِـي ... قَـدْ تَـذَكَّرْتُ جِيَـادًا وَالصَّـفَا
وَتَنَاهَـتْ لَـوْعَتِي مِـنْ حَرَقِـي ... ثُـمَّ زَادَ الْوَجْـدُ بِـي التَّلَفَـا
فَـانْعَمُوا لِـي ثُـمَّ جُـوْدُوا لِـي بِمَـا ... يُطْـفِ نِيْـرَانَ الْجَـوَى ذِي الْقَـبَسِ
سَـاعَةٌ لِـيْ مِـنْ رِضَـاكُمْ مَغْنَمًـا ... وَتُـدَاوِي جِنَّتِـيْ مَـعْ نَفَـسِ

فهذا جزء من هذه الموشحة التي رواها "الإفراني"، وكما يظهر أن الموشح افتتح بالمطلع وهو عبارة عن بيتين توحدت فيهما قافية الشطر الأول وهي (الميم)، كما توحدت فيهما قافية الشطر الثاني وهي (السين)، والتي جاءت مغايرة للشطر الأول، ويوظف الشاعر هذا المطلع قفلا لكل دور بالقافية نفسها حتى نهاية الموشح، وما دام الموشح افتتح بهذا القفل فهو تام... ثم يأتي الشاعر بعد ذلك بالأغصان عبارة عن ثلاثة أبيات من قافية مغايرة تتفق كل منها في قافية أشطرها الأولى و كذلك أشطرها الثانية، ثم تختم بالقفل عبارة عن بيتين يأتي على قافية المطلع، ثم يأتي بثلاثة أبيات أخر من قافية أخرى تتفق فيها أشطرها الأولى، وتختلف عن أشطرها الثانية ثم يأتي بعدها بالقفل وهو بيتان على قافية المطلع الذي اختاره وهكذا حتى ختام الموشح.

وهذه الموشحة معارضة لموشحة ابن سهل الأشبيلي تـ ٦٤٩هـ، التي قال في مطلعها: [١]

هَلْ دَرَىْ ظَبْيُ الْحِمَى أَنْ قَدْ حَمَى قَلْبَ صَبٍّ حَلَّهُ عَنْ مَكنَسِ[٢]

فَهوَ فِي حَرٍّ وَخَفقٍ مِثْلَما لَعِبَت ريحُ الصَبا بِالقَبَسِ

فقد اتفق الموشحان في البحر وهو (الرمل)، كما اتفقا في روي المطلع في شطريه الأول والثاني، ومضمون الموشح وهو الغزل الذي يتضمن حديثا عن شكوى الحب وتباريح الهوى...

ز: فن المخمسات : [٣]

أشرت لفن المخمسات عند الحديث عن شعر الغزل، وأذكره هنا بوصفه ظاهرة شعرية ذكرت ضمن المرويات الأدبية لشعراء ذلك القطر في تلك الحقبة الزمنية التي أرخ لها "الإفراني" وقد أورد لها عدة نماذج متناثرة في كتابه منها ما رواه عند ترجمته للسلطان أبي عبد الله بن محمد بن عبد الله قال :"... وكان مع ذلك فقيها مشاركا في الفنون أديبا مجيدا قوي العارضة نظما ونثرا ومن شعره، ما قاله من الطويل :[٤]

خَلِيْلَيَّ مَا يُخْفِى انْحِصَارِي عَنِ الصِّبَا فَحُلَّا عِقَالِي قَدْ أَضَرَّ بِيَ الرَّبْطُ

وَلَا تَجْعَلَا مَنْ لَامَ أَوْ مَنْ تَلَوَّمَا فَإِنَّ بُحُوْرَ اللَّومِ لَيْسَ لَهَا شَطُّ

(١) ديوان ابن سهل الإشبيلي، تقديم الدكتور إحسان عباس، ط بيروت ١٩٦٧م، صـ ٢٨٣.

(٢) المكنس: المكان الذي يختبئ فيه الظبي.

(٣) المخمسات أن يأتي الشاعر " بخمسة أقسمة كلها من وزن واحد وخامسها بقافية مخالفة للأربعة قبله ثم بخمسة أخرى من الوزن دون القافية للأقسمة الأربعة الأولى ويتحد القسيم الخامس مع الخامس من الأولى في القافية "، ينظر: موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور، د/ صابر عبد الدايم، ط دار الكتاب الحديث، ط الأولى ٢٠١٤م، صـ ٢٢٧ .

(٤) نزهة الحادي، صـ ٥٧.

ثـم قـال بعـدهما: وقـد خمـس هـذين البيتـين الإمـام الشـيخ الأسـتاذ أبو العباس أحمد الزموري – رحمه الله– فقال: (١)

أَلَا فَـاعْجَبُوا مِـنْ عَـاذِلٍ لِـي قَـدِ اغْرَبَـا فَكَـمْ ذَادَ عَـنْ عَيْنِـي كِـــرَاهًا وَأَذْنَبَـا

وَفِـى شِـرْعَتِي حِـلُّ الْخِلَافَـةِ مَذْهَبَـا خَلِيْلَـيَّ مَـا يُخْفِـى انْحِصَـارِي عَنِ الصِّبَا

فحلا عقالي قد أضر بي الربط

أَلَا فَارْعَوُوا عَنْ عَذْلِ صَبٍّ تَظَلَّمَا وَبِـالْبَيْنِ صَـارَ الْقَلْـبُ مِنْـهُ مُتَيَّمَـا

وَأَلْحَاظُـهُ تَنْهَـلُّ مِـنْ عَبْـرَةٍ دَمَـا ولا تجعلـوا مـن لام أو مـن تلومـا

فإن بحور اللوم ليس لها شط .

ومهما يكن من أمر فهذه إطلالة سريعة على بعض الأغراض الشعرية الثانوية التي اشتمل عليها الكتاب، إضافة لما سبق ذكره من أغراض أخرى تعرضنا لها بشيء من التفصيل في العرض والتحليل في الحكم، وهذا إن دل فإنما يدل على عناية (الإفراني) برواية فن الشعر في كتابه، وتعمد الإكثار من رواية أغراضه المتنوعة، وفنونه المتعددة.

(١) نزهة الحادي، صـ ٥٧.

الفصل الثاني : المَرْوِيَّاتُ النثرية.

تبين من خلال الفصل السابق غزارة النص الشعري الذي رواه "الإفراني" في كتابه التاريخي، والذي تميز بما اشتمل عليه من العديد من القيم الفكرية والجوانب الفنية، وكذلك تعددت النصوص النثرية التي اشتمل عليها الكتاب، وتميزت أيضا بفنيتها وغزارتها فجاءت منوعة ما بين رسائل،- وهي الأكثر مادة- وتراجم، وخطب، وتوقيعات... وسوف أقوم بعرض ومعالجة بعض النماذج في السطور التالية لأصف للقارئ بصورة موجزة ما تضمنه الكتاب من نصوص نثرية.

أولا: فن الرسائل :

فن الرسائل من أبرز الفنون الأدبية النثرية التي عُني "الإفراني" بروايتها بل وكانت أغزرها مادة، وقد تنوعت مضامينها ما بين رسائل سياسية وهي الأكثر، واجتماعية بما تتضمن من معاني الأُخُوَّة والتهاني وغيره.

أ: الرسائل السياسية: تعددت رؤى النقاد والدارسين حول تحديد المفهوم الاصطلاحي لفن الرسائل السياسية، ولعل أشملها قول بعضهم : "إنها الرسائل التي تعالج شؤون الإدارة والتنظيم الداخلي، الذي يتعلق بالحياة العامة وشؤون الرعية"،(١) والرسائل السياسية بهذا المفهوم قد تأتي من الحُكام للرعية، وقد تأتي ممن هو دونهم كالوزراء أو العلماء ما دام الكاتب يتناول هذه المضامين في رسالته.

ومن نماذج هذه الرسائل التي رواها "الإفراني" أن السلطان محمد بن الشريف أرسل رسالة إلى رؤساء أهل "الدلاء" لما سمع بعزمهم على الخروج عليه لاستئصاله قال: " إلى السيد محمد الملقب بالحاج ابن السيد أبي بكر الوجاري الزموري، ومن شمله معه رداء الديوان، من الأبناء والأعمام والإخوان،

(١) أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، فايز عبد النبي القيسي، ط دار البشير، ط ١٩٨٩م، صـ١١١.

سلام على جلهم سلام استحباب وسنة، فقد كتبنا لكم من "سلجماسة" كتب الله لها من شركم أنفع تمائم، وألبسها من الظفر بكم أرفع عمائم، وبعد السلام: فإن نيران هذه الفتن التي أضرمتموها بعد خمودها لستم لها بأهل، لم يعرفكم أهل المغرب إلا بإطعام قصاع العصائد، وهجو بعضكم لبعض بما لا يسمع من بشيع القصائد... أتطمعون في النجاة بعد ترويعكم الشرفاء والشريفات، والعابدين والعابدات النظيفات؟! فشمر إن شئت عن ساعد الجد في الصلح، واغتنم السلم ما دام يساعدكم وقته فإن الحرب نار، والتخلف عنها بعد وقوعها شنار، والله يعلم أن هذه المراودة ليست بجزع ولا وجل منكم... بل المراد الأوكد نشر رداء التبرؤ لئلا تجاروا مني متى أنشبنا فيكم مخالب التجرؤ... وإننا قساة لا نصغى لقبول العذر، فأنتم تنهون عن الفحشاء، وقد ملأتم منها الأحشاء، وإن زجرتم عنها قلتم كلا وحاشا، ولكن من أنتج نسلا نسب إليه، ومن خاف من شيء سلط عليه... وحتى الآن آخر المراجعة بيننا هذا الكتاب فإن رغبتم في الخير فهو مطلبي، وإن عشقتم الغير فجوابي لكم قول أبي الطيب المتنبي:

وَلا كُتبَ إِلّا المَشرَفِيَّةُ عِندَهُ وَلا رُسُلٌ إِلّا الخَميسُ العَرَمرَمُ (١)

والسلام".(٢)

يظهر من مضمون الرسالة أن كاتبها يهدف إلى مخاطبة الخارجين عليه، الساعين للإفساد في بلاده بنشر الفتن وإحداث الاضطرابات داخل المجتمع، لذا اعتمد فيها على أسلوب التهديد والترويع، بل والسخرية والتقليل من شأن خصومه، كما حذرهم من مغبة فعالهم، وتوعدهم إن لم يعودوا إلى رشدهم، ويقلعوا عن وضيع أعمالهم، فالرسالة تُعْنى أولا وأخيرًا بشؤون الحكم وأمور سياسة الرعية ومصالح البلاد.

---

(١) ديوان المتنبي، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، صححها وقارن نسخها د/ عبد الوهاب عزام، (د–ت)، صـ ٢٩١.

(٢) نزهة الحادي، صـ ٢٨٢، ٢٨٣.

وأول ما يظهر لقاريء الرسالة أن الكاتب لم يبدأها بالتحميد، فخالف بذلك المعهود في كتابة الرسائل، كما لم يتأنق في صنع المقدمات الطوال، بل دخل إلى موضوعه مباشرة بذكر اسم من يخاطبه دون إطراء أو تمجيد، واكتفي بقوله: " وبعد السلام"، ولعله في ذلك ينهج نهج الخطبة البتراء التي لم تبدأ بالتحميد إمعانا في الترهيب، فقد ترسم الكُتاب والأدباء نهجها فيما بعد حينما يكتبون في مثل مناسبتها أو معنى قريب من غرضها، وقد وقف النقاد مع هذا الافتتاح وحللوه محاولين أن يعللوا له فكان مما قالوه: " إن هذا الافتتاح المفاجئ يوحي للسامعين بالصرامة والغلظة، ويضاعف رهبتهم من حاكمهم الجديد الذي لا يتورع من التنكيل والتقتيل"،(١) وبالتالي فإن كاتب الرسالة وإن خالف النهج المتعارف في مقدمات الرسائل فلم يبدأ رسالته بالتحميد، إلا أنه أجاد في ذلك لكون بداية رسالته ناسبت موضوعه ولاءمت المقام، فالرسالة تهديد ووعيد، وهجوم وتقريع، ومخاطبة لقوم ابتعدوا عن النهج القويم حين أرادوا الخروج على الحاكم وإشاعة الأراجيف وإحداث الفتن في البلاد، فالجو إذا مشحون بالغضب كما يوحي بشيء من الصراع والصدام، وبالتالي فكاتبها يهدف إلى رهبة الخصم وزرع الخوف في قلبه والحذر في عقله، كما أنه لا يريد لمن أمامه أن يطمئن أو يأمن.

وبعد أن ألقى السلام بصورة مقتضبة غمز خصمه بكونه ومن معه لا يستحقون السلام، ولولا أننا أُمِرْنا بِه ما كتبه أو قاله، ويوحى بهذا المعنى قوله في مطلع رسالته: "سلام على جلهم سلام استحباب وسنة "، كما غمز خصمه مرة أخرى حينما قلل من شأنه فأظهر ضعفه في قوله: " فإن نيران هذه الفتن التي أضرمتموها بعد خمودها لستم لها بأهل"، ثم اتجه إلى أسلوب السخرية والتهكم من الخصم فأمعن في إهانته بقوله : " لم يعرفكم أهل المغرب

(١) أدب السياسة في العصر الأموي، د/ أحمد الحوفي، الناشر دار القلم بيروت، ط الأولى ١٣٨٤هـ=١٩٦٥م، صـ٢٨٤.

إلا بإطعام قصاع العصائد، وهجو بعضكم لبعض بما لا يسمع من بشيع القصائد"، كناية عن حقارتهم وضعتهم وهوان شأنهم، ثم انتقل لأسلوب الوعيد فتوعدهم بعدم النجاة من العقاب، ووظف لذلك أسلوب الإنشاء الذي حمله معاني الاستبعاد والتعجب فقال: " أتطمعون في النجاة بعد ترويعكم الشرفاء والشريفات، والعابدين والعابدات النظيفات؟ "، والكاتب معتز بنفسه لا ينسى مكانته أو رفعة قدره، فحينما يدعوهم إلى السلم والتصالح يخبر بأن ذلك ليس عن ضعف أو خوف، وإنما هو لسان الحكمة والعقل، ومن ثم العمل على درء الفتنة وحفظ الدماء وهو ما يظهر في قوله: " فشمر إن شئت عن ساعد الجد في الصلح واغتنم السلم ما دام يساعدكم وقته فإن الحرب نار، والتخلف عنها بعد وقوعها شنار، والله يعلم أن هذه المراودة ليست بجزع ولا وجل منكم... بل المراد الأوكد نشر رداء التبرؤ لئلا تجاروا مني متى أنشبنا فيكم مخالب التجرؤ"، وقد حفلت الرسالة بالعديد من الجوانب الفنية التي استعان بها الكاتب ليصل إلى غايته من رسالته فأحسن تقسيم الفقرات مع قصرها، والتزم في أغلبها السجع الذي جاء طيعا غير متكلف ولا متعمد خادما للمعنى والفكرة فلم يتسرب الملل بسببه إلى القاريء أو السامع كالذي في قوله : " ومن شمله معه رداء الديوان، من الأبناء والأعمام والإخوان"، وقوله: " فأنتم تنهون عن الفحشاء، وقد ملأتم منها الأحشاء"، وهو من السجع الجيد الذي اتفقت فيه الكلمتان في الوزن والروي، وقد يجمع في الفقرة الواحدة بين السجع والتصوير بالمقابلة على غرار السجع المرصع[1] كما في قوله: "كتب الله لها من شركم أنفع تمائم، وألبسها من الظفر بكم أرفع عمائم"، فالرسالة عموما تكاد أن تكون مقابلات أو مطابقات إن لم تكن محققة جميعها في مبانيها فهي واضحة في

(١) هو ما اتفقت فيه ألفاظ إحدى الفقرتين أو أكثرها في الوزن والتقفية، ينظر: علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، أحمد مصطفى المراغي، ط المكتبة العصرية (د- ت)، صـ ٣٠٣.

معانيها، مما كان له أثر في ترسيخ الفكرة المتغياة للكاتب وجلاء المعنى المراد، من إشاعة الرهبة في نفوس الخارجين بغية أن تستقر الأمور، كما نوع الكاتب في رسالته بين أسلوبي الخبر والإنشاء، وإن غلب عليها الأسلوب الخبري، كما لم يغفل جانب التصوير البياني بالتشبيه البليغ كقوله: "فإن الحرب نار"، وبالاستعارة كما في قوله: " فإن نيران هذه الفتن التي أضرمتموها بعد خمودها لستم لها بأهل"، وقوله: "لئلا تجاروا مني متى أنشبنا فيكم مخالب التجرؤ"، وكذلك التصوير بالكناية كقوله: " لم يعرفكم أهل المغرب إلا بإطعام قصاع العصائد، وهجو بعضكم لبعض بما لا يسمع من بشيع القصائد"... كما ضمن رسالته أبياتا من الشعر منها بيت المتنبي المذكور في ختامها، وقد أحسن توظيفه لخدمة فكرته فجاء طيعا ملائما للمعنى ملتئما مع السياق العام للنص، ثم جاء ختام الرسالة مناسبا لمفتتحها ملائما لموضوعها فجاء مختصرا مقتضبا في كلمة وهو قوله: "والسلام"، فلم يختم رسالته بدعاء أو ثناء، رهبة لعدوه وإمعانا في إرهابه وتخويفه.

ومن نماذج **الرسائل السياسية التي جاءت في صورة جواب** ما رواه "الإفراني" – رحمه الله– عند حديثه عن واقعة للأمير محمد بن عبد الله عندما استعان بعظيم النصارى بردقيس، مستصرخًا به على عمه أبي مروان، فأغاثه وأرسل إليه جيوشًا كثيرة، فكتب إليه علماء الإسلام وقتها – رضي الله عنهم – برسالة طويلة تقع في أربعة وثمانين ومائة سطر– وهي تعد من الأجوبة– منها ما يلي: " فالحمد لله كما يجب لجلاله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير أنبيائه وإرساله، والرضا عن آله وأصحابه الذين هاجروا لدين الإسلام، وهجروا دين الكفر فما نصروه ولا استنصروا به حتى أسس الله دين الإسلام بشروط صحته وكماله، وبعد: فهذا جواب من كافة أهل المغرب من الشرفاء والعلماء، والصلحاء والأجناد والرؤساء – وفقهم الله – لمولانا محمد ابن مولانا عبد الله السعدي – رحمهم الله – عن كتابه الذي استدعاهم فيه لحكم الكتاب، واستدل بحججه الواهية الاطناب، المنتكبة عن الصواب، قائلين له عن أول

حجة صدر بها الخطاب، لو رجعت على نفسك باللوم والعتاب، لعلمت أنك المحجوج المصاب، فقولك خلعنا بيعتك التي التزمناها، وطوقناها أعناقنا وعقدناها، والله ما كان ذلك منا عن هوى متبع، ولا عن سبيل خارج عن طريق الشرع مبتدع، وإنما ذلك منا على منهج الشرع وطريقته وعلى الحق وتحقيقه، وسنشرح لك ذلك ونبينه ونسطره لك بأدلة الشرع وسنته وتعيينه، نعم كنت سلطاننا بما عقد لك والدك من البيعة، وترك لك من الأموال والذخائر والعدة والعدد والحصون مالم يتهيأ مثله لأحد من أسلافكم الكرام، – رضوان الله عليهم أجمعين– فجاهدوا بما حصل لهم من ذلك في الله حق جهاده، حتى استخلصوا من أيدي الكفار رقاب عباد الله وحصون بلادهم، وأسسوا لدين الله قواعد وأركانا، وملكوا من المغرب بلادا معتبرة وأوطانا، فلما وصل إليك ذلك ألقت إليك العباد أعنتها، وملكتك أزمتها، غير مبالين ولا مغيرين، ولا طاغين ولا منكرين، إلى أن قام عليك عمك فحجتك التي لا يمكنك جحدها، حسبما ثبت كما يجب عقدها، فخرجت مبادرا له برفعها ولقيته بها، وأنت واسطة عقدها وحامل راية عهدها، وعمك في فئة لا يخطر على بال عاقل أن يقابل جندا من جنودك أو يدافع ما تحت لواء من ألويتك وبنودك، فما هو إلا أن جرى القتال وحضر النزال، رجعت على عقبك هاربا هروب مطرود القصاص وجنودك تناديك { ولات حين مناص}، فتركت عددك ومحلتك بكل ما فيها، وخلفتها لعدوك ينهبها ويسبيها، وهربت عن مدينة فاس المحروسة وسكانها ينادونك لم تركتنا؟ وإلى من تكلنا؟، فلم تلتفت إليهم، وأسلمت بلادهم بما فيها من خزائن الأموال والأعداد الوافرة من الرجال والأسوار المرتفعة المانعة والمدينة المشهورة الجامعة، فأصبح أهلها واليد العادية من السفهاء والمفسدين تريد أن تمد أيديهم إلى الحريم والأموال والأولاد والطارد والتلاد ولا دافع عن الضعفاء والمساكين إلا الله سبحانه الذي قال في مثلهم ومن أصدق من الله قيلا ﴿ لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ﴾، [سورة النساء، آية ٩٨].

...ثم هربت إلى الجبل عند صاحبه فصرتما في نهب أموال الرعية وسفك دمائهم وأكثر ما صفى لك من ذلك أهل الذمة المصغرين بحكم القرآن الداخلين تحت عهد سيد الثقلين في الأمن والأمان فأنت وإياهم في استيلائك وظلمك كما قيل:

إن هو مستوليا على أحد إلا على أضعف المجانين[١]

ولم تبال بقول النبي (ﷺ) " أنا خصيم من ظلم ذميا يوم القيامة"[٢] ثم خربت العامر، وأفسدت ما شيد الأسلاف للإسلام من المآثر...

فارجع إلى الله أيها المسكين، وتب إلى الله فإنه يقبل التوبة عن عباده في كل وقت وحين، ودع عنك كلام من لا ينهضك حاله، ولا يدلك على الله مقاله، وهذه نصيحة إن قبلتها، وموعظة إن وفقت إليها، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وهو نعم المولى ونعم النصير، وهو حسبنا ونعم الوكيل" [٣]

نلحظ أن هذه الرسالة تُعْنى أيضا بالحديث عن أمور الحكم والولاية والطاعة وغير ذلك مما يتعلق بأمور السياسة، غير أنها لم تكتب هذه المرة من خلال سلطان أو وزير بل من علماء هذا القطر موجهة لحاكمها جوابا على أقواله وتفنيدا لآرائه، وقد اجتمعت لهذه الرسالة مقومات الكتابة الأدبية أو التقاليد الفنية التي تعارف عليها كتاب الرسائل، من حسن المفتتح كالبداية بالتحميد، وقد جاء هنا مكونا من حمد الله، والصلاة والسلام على رسوله (ﷺ)، ثم الدعاء بالرضا للصحابة الذين نصروا دين الله، ثم انتقل الكاتب إلى مضمون الرسالة والذي غلب عليه الأسلوب المنطقي الذي يقوم على ترتيب الأفكار وتسلسلها، والرد على الشبهة وتفنيدها، وربط الأسباب بمسبباتها،

(١) يكثر استشهاد النحاة بهذا البيت، ومع هذا لم يذكره أحد منهم منسوبا إلى قائل معين.

(٢) الحديث رواه أبو داود، برقم : (٣٠٥٢).

(٣) نزهة الحادي، صـ ٦٥، صـ ٧٣.

والنتائج بمقدماتها، وهو ما ناسب الفكرة العامة للرسالة لكونها إجابة على رسالة وجهها الحاكم للعلماء والقواد... كما وظف الكاتب العديد من الوسائل التعبيرية والتصويرية التي تعينه على توصيل فكرته والتعبير عن معانيه، فاستعان كثيرًا بالجمل الاعتراضية والتي جاء أغلبها للتنزيه والدعاء، وكذلك السجع الذي جاء طيعا، وترادف الجمل في كثير من فقراتها، كما تميزت بسهولة الألفاظ ووضوحها، واستعان الكاتب بتضمين الرسالة بعض أبيات الشعر، والاقتباس من الكتاب والسنة، ثم جاء ختامها مناسبا لبدايتها، ملائما لموضوعها، فجعله الكاتب نصحا وجهه للحاكم، ودعاء له بالهداية والرشد.

ب: الرسائل الاجتماعية:

من ألوان الرسائل الاجتماعية رسائل الأُخُوَّة وهي لون "من المكاتبات الدائرة بين الأصدقاء"،[1] ويتناول فيها الكاتب معاني متعددة يظهر من خلالها الود والحرص على النفع لصاحبه، وربما تحذيره من أمر والتنبيه على خطره، أو تهنئته أو تعزيته.. إلخ تلك الأمور، ومن نماذج هذا النوع من الرسائل المروية في الكتاب، ما رواه "الإفراني" من ثناء الشيخ محمد بن أبي بكر المجاطي الدلائي، على أخيه الولي الصالح الشيخ محمد العياشي، وقد كتب إليه برسالة ثناء ومودة قال فيها : " الحمد لله الحليم العفو الرؤوف المنزه عن صفة من وصف بها، وصلى الله على سيدنا محمد مدينة العلم المسورة بسور السماحة والحلم، وعلى سادتنا آله وأصحابه وكل من انتظم في سلك اتباعهم من أهل حزبه، هذا وإن المجلى بنور طلعته ظُلَم الظُّلْم والفساد، المحلى بخزائن المعالي بموجبات النفاق على حين الكساد، المستوطن حبه بسويداء الفؤاد، من ألقت إليه المكارم أزمة الانقياد، وصلحت به بحمد الله تعالى العباد، وأينعت ببركاته البلاد، حوطة الإسلام وحمايته، وخديم الدين المحمدي وكفايته، سيدي محمد بن أحمد العياشي المحمودي الأوصاف،

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي، جـ٨، صـ ١٢٦ وما بعدها.

بشهادة من يعد من أهل الإنصاف، زاده الله من المكارم أعلاها، ومن نفائس درر المجادة أغلاها... قد شهدنا على أنفسنا بالإقرار بفضله علينا، وأن ما يسره يسرنا، وأن ما يضره يضرنا..."(١)

فالرسالة في مجملها موجهة من صديق إلى صديقه، وكما يظهر من معانيها أنه عالم عامل ينبري لنفع الناس، ويحرص على فلاحهم ويعمل لهدايتهم، وفيها ثناء على أخلاقه وإشادة بأعماله، واعتراف بفضله، وإعلان بحبه وطاعته وعونه ومؤازرته، وهي لا تبتعد كثيرا في جوانبها الفنية عن الرسالة السابقة من كون كاتبها التزام التقاليد الفنية للكتابة الأدبية.

وهناك لون من الرسائل يجمع بين اللونين المذكورين السياسية والأُخُوَّة، ومن نماذجه رسالة ذكرها "الإفراني" عند حديثه عن الأمير أبي مروان عبد المالك، أحد ملوك الأسرة السعدية بالمغرب، قال: وكان أخوه أبو العباس أحمد المنصور خليفة له على فاس وما والاها، وكانت له فيه محبة تامة وكان يظهر أنه ولي عهده ويرشحه لذلك كثيرًا، وقد وقفت على رسالة كتب بها إليه مروان تدل على ذلك ونصها: " بسم الله الرحمن الرحيم. من –عبد الله المعتصم بالله المجاهد في سبيل الله– أمير المؤمنين عبد المالك ابن أمير المؤمنين أبي عبد الله محمد الشيخ الشريف الحسني – أيد الله أمره وأعز نصره وأسعد زمانه المبارك وعصره وأبقى بفخره – من إملائه – أيده الله وأدام ذكره – إلى أخينا الأعز الأحظى باب أحمد – حفظه الله – سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد: فاعلم أني لا أحب أحدًا بعد نفسي محبتي لك، ورغبتي في انتقال هذا الأمر من بعدي إلا إليك لا لغيرك، غير إنّا نعتاد منك التراخي في الأمور، حتى إنك لا تبالي بعظيم الأمر ولا تعتبره؛ إلى أن يتطرق إلى مالا يتلاقى جبره من الأمور التي تكاد– لولا لطف الله – تذهب بهذا الملك وتهدم أركانه، ويبلغ العدو مناه ورضاه ومراده؛ من ذلك في هذا التراخي: إهمالك أمر

(١) نزهة الحادي، صـ ٢٦١.

الجند الذي بالعرائش، وإغفالك له مع ما يترادف عليك في كل ساعة من لقائه؛ من استدعاء ما دعت الحاجة إليه من المؤنة والبارود والرصاص الذي لا يستقيم لهم أمر في مقاومة العدو دون ذلك، وجعلت تقابل خطابهم بالإهمال وعدم المبالاة إلى الآن، ساعة يرد عليك كتابنا هذا قبل وضعه من يدك ابعث لهم مؤنة عشرة أيام، بينما نصل –إن شاء الله– فيقع التدبير فيما يحتاجونه زايدا على ذلك مع ما عندكم هنالك من البارود والرصاص من غير عطلة ولا تراخ، ولا نقبل منك عذرًا في هذه المسألة التي لا تحتاج للإهمال ولابد ولابد، وقد بلغنا أن صاحب النصارى بقرب أصيلا بخمس عشرة مائة من النصارى، وتمنيت أن لو حركتك الهمة لاقتحامه في مكانه بجيش يكسيه أردية الصغار، ويرجع ساعة رويته إلى عادته من الذل والفرار، فانتبه من الغفلة، وافتح عين الانتباه واليقظة، فإن الساعة لا تقتضي إلا الحزم والتشمير على ساعد الجد والاجتهاد والعزم والسلام).[1]

فهذه الرسالة جمعت بين المضمونين فبدأها كاتبها بما يتناسب مع معاني الأخوة فأظهر لأخيه الود والنصح، والحرص على النفع وجلب الخير، وكذلك تضمنت الجانب السياسي الذي يعنى بأمور الحكم والحفاظ على الجند، وتجهيز العدة لملاقاة العدو...

ومهما يكن من أمر فمن خلال هذه النماذج المنوعة الأغراض أرى أن الرسائل المروية في الكتاب التاريخي –موضوع الدراسة– تتميز بعدة أمور فنية:

أولا: من جهة البناء التزم الكُتَّاب بالمقدمة التي جاءت في الغالب تحميدًا، فطالت في بعضها وقصرت في البعض الآخر، ثم المضمون وهو جوهر الرسالة وفيه يتناول الكاتب الفكرة أو المعنى، ثم الخاتمة وكانت تأتي موجزة.

(١) نزهة الحادي، صـ ٧٨.

وألحظ في الرسالة الأولى أن الكاتب لم يبدأها بالحمد، واستهلها باسم من يخاطبه دخولا في الموضوع مباشرة لكونها كانت موجهة للخارجين، فكأني به وقد نسجها على منوال الخطبة البتراء وترسم أسلوبها كما أشرت سلفا.

ثانيا: من جهة المعنى، نجد أن المعاني جاءت واضحة متلاحمة لا غموض فيها، كما أنها مثلت الحقبة الزمانية والبيئة المكانية لهذا القطر بثقافته وعلومه وأحداثه خير تمثيل.

ثالثا: من جهة الألفاظ أو المفردات فهي في الأعم الأغلب سهلة واضحة، خالية مما يتعسر فهمه إلا ما ندر، كما جاءت ألفاظها منتقاة اختارها الكاتب بعناية لتفصح عن الفكرة المتغياة، وتتلاءم مع الموقف أو الحدث الذي تعبر عنه.

رابعا: من جهة الأسلوب كثيرًا ما التزم الكُتاب السجع، وإن جاء طيعا خفيفا في أغلبه، كما لم يسلم تماما من التكلف في بعض المواضع القليلة.

خامسا: شاع في الأسلوب الجمل الاعتراضية، والتضمين لبعض أبيات الشعر، والاقتباس من النص الديني، أو استلهام المعنى الديني، وهو ما يدلل على ارتباط كُتاب هذا القطر بالثقافة العربية الأصلية، والموروث الديني كتابا وسنة.

سادسا: في جانب الصورة لم تخل الرسائل من بعض الصور البلاغية البيانية التي وظفها الكُتاب لتصوير المعنى أتم تصوير، وإن كانت قليلة إلا أنها جاءت واضحة؛ لتناسب لغة العقل التي هي السمة الغالبة لمثل هذا اللون من الرسائل، لاسيما الرسائل السياسية.

سابعا: جمعت الرسائل بين أسلوب الجد المتضمن الوعد والوعيد، والسخرية أو التهكم من الخصم، ويظهر ذلك في الرسالة السياسية الأولى، والنصح وإبراء الذمة كما في أسلوب الرسالة السياسية الثانية، وأسلوب التودد والاعتراف بالجميل والثناء الحسن كما في نماذج رسائل الأخوة.

ثامنا: من جهة طول الرسائل وقصرها، تنوعت الرسائل المروية بين القصر والطول وإن غلب عليها الطول كما في الرسائل السياسية لكونها تعالج أمورًا من شؤون الدولة، وترد على شبه الخارجين مما يستدعي الإطناب وبسط القول.

ثانيا: فن الخطابة :

من نماذج النص النثري الذي اشتمل عليه الكتاب الخطابة –وإن جاءت بصورة قليلة– وهذا إن دل فإنما يدل على أن الكتب التاريخية التي تؤرخ لحكم بعض الأسر إنما تعنى بكل ما يتصل بالشأن السياسي أولا؛ والذي يغلب عليه المكاتبات الديوانية كالرسائل والأجوبة، وإن أثر عن بعض الحكام أنهم كانوا يعنون بمشافهة الجمهور خطابة، إلا أن هذا الجانب لم يجد رواجا فيما روي من أدب عن الأسرة السعدية في كتاب "الإفراني"، فلم أقف إلا على خطبتين إحداهما شفهية قصيرة الطول، والأخرى كتابة كتبها صاحبها تقديما لبعض مؤلفاته.

فمن نماذج الخطب الشفهية ما رواه "الإفراني" أن السلطان المنصور لما توفي واجتمع أعيان فاس وأهل الحل والعقد على بيعة ولده زيدان قام قاضي الجماعة –أبو القاسم بن أبي النعيم الغساني– في الناس خطيبا وقال: " أما بعد السلام عليكم، فإن رسول الله (ﷺ) لما مات اجتمع الناس على أبي بكر الصديق –رضي الله عنه–، ونحن كذلك نفعل، فقد مات أحمد– رحمه الله – وهذا ولده مولانا زيدان هو أولى بالملك من إخوته، فنبايعه...". (١)

ومن نماذج الخطب المكتوبة ما كتبه السلطان المنصور في مقدمة كتاب السياسةِ وهذا نص خطبته قال: "نحمدك اللهم على ما أنلت من رياسة، وعلمت من سياسة، ووهبت من ملك، ونظمت من سلك، وكففت من أعداء، وهديت من آراء، ونصلي على مبلغ أنبائك، وخاتم أنبيائك، المؤيد بأهل أرضك

(١) نزهة الحادي، صـ ١٩٠.

وسمائك، من به أقمت على خلقك الحجة، وبلسانه الصادق نهجت لهم في اتباعها المحجة، صلاة تكون منا كفاء، وبمجده السامي وفاء، وبعد: فلنا حاجة في تكميل أنفسنا في قواها البشرية باستعمالها في حقائق المعلومات العملية والنظرية، وعلوم الحكمة العلمية أولى بنا لما نحن فيه واعون على ما نجلبه لهذا الأمر العلوي الفاطمي أو نقتفيه، فلنصرف أولا عنان القول إليها، ولنجلب بالخيل والرجل في ميدان هذه الطروس عليها، ومن الله نستمد وعلى عونه جل وعز نعتمد، وهو حسبي ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم الجليل".(١)

وكما يظهر فإن هذه الخطب اتسمت بالقصر، كما ابتدأت بالتحميد، والصلاة على النبي (ﷺ) وغلب عليها السجع في فقراتها، واقتباس النص الديني واستلهام معانيه، وشيوع الروح الدينية فيها، ولكون المروي من النماذج لا يعدو القليل فلن نستطيع أن نحكم من خلالها على موضوعات أو أسلوب وروح الخطابة في هذا القطر في تلك الحقبة، لكن الأمر الذي استرعى انتباهي هو عدم رواية الخطب السياسية للسلاطين والأمراء عند توليتهم الحكم، لا سيما أن الكِتاب أرخ لحكم أسرة تعاقبت فيها الملوك والأمراء على حكم بلاد المغرب.

ثالثا: فن التوقيعات:

يقصد بالتوقيعات الأدبية " التعليق على الرسائل الواردة إلى الديوان بما يناسبها، مع التعليل لذلك بآية قرآنية، أو حكمة سائرة، أو قول محكم من إنشاء الكاتب بأسلوب موجز دقيق، ربما بلغ بالإيجاز حد الإعجاز".(٢) وقد روى "الإفراني" في كتابه نماذج مختلفة من التوقيعات أخذت ألوانا ثلاثة: منها

(١) نزهة الحادي، صـ ١٣٥.

(٢) بلاغة الكتاب في العصر العباسي دراسة تحليلية نقدية لتطور الأساليب، د/ محمد نبيه حجاب، ط مكتبة الطالب الجامعية، ط ٢، ١٩٨٦م، صـ ٩٦.

ما جاء نصًّا قرآنيا، كأن يوقع الكاتب على الرسالة بآية من القرآن الكريم تعبر عن المعنى للحالة أو القضية أتم وأبلغ تعبير، ومن نماذج ذلك توقيع السلطان المنصور على ظهر رسالة "لجودر" من جيوش السودان طلب فيها الصلح حينما استشعر الهزيمة فوقع المنصور على ظهر الرسالة بقول تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۖ بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ٣٦ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٣٧ ﴾[النمل:٣٦-٣٧].(١)

ومن ألوان التوقيعات ما جاء شعرًا، كأن يجعل الكاتب توقيعه أبياتا من الشعر يختارها لأحد الشعراء أو ينظمها بنفسه، يعبر من خلالها عن المعنى أو الفكرة المرادة بما يتناسب والمقام، ومن نماذجه ما وقع به المنصور على شكوى رفعها إليه الأديب الفشتالي يشكو له فيها بعض ما أهمه من أمور الدنيا، فوقع له ببيتين من الشعر من نظمه قال:

يـــــا كاتبـــــا إذا كتـــــب غـــــرّس روضـــــا ذا فـــــنن

إن جـــــــوابي للـــــــذي يشـــــكو دنـــــاه اردد حـــــزن(٢)

فالبيتان نظم من السلطان المنصور رد بهما على شكوى الأديب الفشتالي، وقد نصحه فيهما بأن يتماسك وأن يجابه الحزن بروح الصبر والرضا والتسليم، لاسيما أنه شاعر وكاتب يفيض إبداعه بجميل المعاني، التي تسعد القارئ وينتشي منها السامع كما يفعل الروض الحسن، والفنن الزاهر بناظريه.

ومن ألوان التوقيعات التي رواها الإفراني ما جاء نثرًا من إنشاء كاتبه، ومن نماذجه ما وَقَّع به زيدان على رسالة ليحيي بن عبد الله حينما دخل مراكش واستقر بدار الخلافة فكتب : " إن كنت إنما جئت لنصرتي، وكف يد

(١) نزهة الحادي، صـ ٩٤.

(٢) السابق، صـ ١٤٤.

ذلك الثائر عني فقد أبلغت المراد وشفيت الفؤاد، وإن كنت رمت أن تجر النار لقرصك، وتجعل الملك من قنصك فأقر الله عينك به".(١)

من خلال هذه النماذج المروية لفن التوقيعات، نلحظ أنها جاءت منوعة الصياغة، ما بين آية قرآنية، أو أبيات من الشعر، أو صياغة نثرية بليغة ناسب فيها التوقيع القضية التي قيل فيها، مع ما تميزت به من سهولة الألفاظ ووضوحها، ودقة صياغتها، وكذلك تنوع أساليبها ما بين الخبر والإنشاء لينفذ تأثيرها إلى نفس قارئها أو مستمعيها، كما استعان الكتاب بتوظيف بعض الصور الموحية كما رأينا في نموذج التوقيع الشعر والنثري السابقين في قوله : " يا كاتبا إذا كتب*غرس روضا ذا فنن"، وقوله: "وإن كنت رمت أن تجر النار لقرصك.."وغير ذلك.. وقد استعان كتابها بهذه الأدوات لتساعدهم على القيام بالهدف الرئيس من التوقيع وهو الإقناع وذلك من خلال قوة الحجة والمنطق ليحملوا الخصم على التسليم، أو مراجعة نفسه لاسيما إن كان التوقيع ردا أو جوابا على رسالة سياسية.

ومهما يكن من أمر فهذه النماذج وغيرها مما رواه "الإفراني" تظهر لنا ما انطوى عليه الكِتاب من مادة أدبية ثرة، جديرة بالدرس والمعالجة النقدية لنصوصها، للوقوف على أبرز مظاهرها الموضوعية والفنية، والتعرف على سمات الأدب في تلك الحقبة من تاريخ الأمة العربية، والوقوف على ألوان متعددة من أدبنا في بقعة من بقاع أمتنا المترامية الأطراف، وموازنته بغيره لاستخلاص صور التأثير والتأثر، والتقليد أو التجديد، مما يثري من أدبنا ويكشف لنا صورًا جديدة وجوانب مخفية طالما غابت عن أعيننا في بطون هذه الكتب التاريخية أو تلك، مما يغري الباحثين بضرورة التعرض لها بالبحث والتنقيب.

(١) نزهة الحادي، صـ ٢٠٩.

الخـاتمــة

بعـد هـذه الدراسـة المتأنيـة للـنص الأدبـي المـروي بالكتـاب التـاريخي المسـمى: بـ " نزهـة الحـادي بأخبـار ملـوك القـرن الحـادي"، لمحمـد الصـغير الإفراني؛ توصلت الدراسة لعدة نتائج هي:

١: إمكانيـة التوسـع فـي النظـرة النقديـة لكتـب الاختيـارات الأدبيـة، لتشـمل كتـب التـاريخ والسـير والتـراجم؛ لمـا تضـمنته هـذه الكتـب مـن مرويـات أدبيـة ثـرة جديرة بالدرس.

٢: تتميز اختيارات الكتب التاريخية بالعناية بالجانب الموضوعي أولا، لكونه يدعم الحدث أو الخبر المروي، ولا يمنع ذلك من أن يكون اختيار النص قائما على ذوق فطري وجانب فني أيضا.

٣: عناية المؤرخين برواية النص الأدبي في كتبهم، وتعمدهم فعل ذلك لكون أغلبهم أدباء ينطلقون في روايتهم للنص الأدبي من خلال ذائقة وموهبة يتمتعون بها.

٤: تصور النصوص الأدبية المروية في الكتب التاريخية روح العصر، كما تنقل للقارئ صورة أدب القطر الذي يؤرخ له في تلك الحقبة التاريخية.

٥: كشف البحث عن أدب أحد الأقطار العربية في حقبة زمنية لم تأخذ حظها من الدرس أو التأريخ لأدبها حضورًا، والحكم لها أو عليها قوة وضعفا.

٦: يغلب على المرويات الأدبية في الكتب التاريخية الغزارة والتنوع.

٧: أثبت النص المروي عن هذا القطر العربي في تلك الحقبة تأثره بالأدب الأندلسي الذي حذا فيه الأدباء حذو الأدب المشرقي، واتباع تقاليده الموضوعية والفنية.

٨: تنوع موضوعات فنون الشعر المروية بالكتاب كثرة وقلة، فمنها ما جاء كثيرا كالمدح، ومنها ما جاء قليلا كالهجاء، ومنها ما لم يذكر مطلقا كشعر المجون والخمر.

٩: جاءت موسيقى الشعر المروي على البحور المشهورة، واستخدام التام منها، مما عاونهم على استيفاء معانيهم والتعبير عن أفكارهم.

١٠: غلب على الشعر المروي بالكتاب شعر العلماء والفقهاء، وهو ما يدلل على عناية هذا القطر في تلك الحقبة بعلوم العربية والأدب، فلولا مكانة العربية والأدب في نفوسهم ما استطاعوا الجمع بين الأمرين، ولولا حفظهم وروايتهم لشعر العرب ما تفتقت مواهبهم.

١١: دراسة أدب الكتب التاريخية يسهم في التعرف على أدب الحقبة المؤرخ لها، وما كان سائدا من مظاهر الفن ومضامينه وأدواته وقتها.

وبعد؛ فأرجو من الله العلي القدير أن أكون قد وفقت في معالجة هذه الإشكالية التي أثارها البحث وهدف إلى معالجتها معالجة موضوعية، والله من وراء القصد، عليه توكلت وإليه أنيب.

د/ محمد الدسوقي محمد إبراهيم.
مدرس الأدب والنقد، بكلية اللغة العربية بالزقازيق.

كشاف تفصيلي يتضمن الأجناس الأدبية المروية بالكتاب، وعددها، وأرقام صفحاتها، وأسماء قائليها.

أولا: إحصاء بالقصائد الشعرية المروية بالكتاب.

م	النوع	عدد الأبيات	رقم الصفحة	اسم الشاعر
١	قصيدة	١١١	١٥٢-١٥٧	أبو فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالي
٢	قصيدة	٥٢	٢٩٤-٢٩٦	
٣	قصيدة	٥١	٢٧٢-٢٧٤	أبي ربيع الغرناطي
٤	قصيدة	٣٩	٣٠٧-٣٠٨	أبو العباس أحمد الدغوغيّ
٥	قصيدة	٣٧	١٤٨-١٤٩	أبو محمد عبد الواحد البوعناني
٦	قصيدة	٣٧	١٠٤-١٠٦	أبو القاسم بن علي الشاطبي
٧	قصيدة	٢٧	٢٥٦-٢٥٧	أبو فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالي
٨	قصيدة	٢٧	١٥١-١٥٢	
٩	قصيدة	٢٦	٢٧٧-٢٧٨	محمد بن سودة
١٠	قصيدة	٢٦	١٠٧-١٠٨	أبو الحسن علي بن منصور الشياظمي
١١	قصيدة	٢٤	٢٥٤-٢٥٥	
١٢	قصيدة	٢٢	١٤٩-١٥٠	أبو العباس أحمد الدغوغيّ
١٣	قصيدة	٢٠	١٠٦-١٠٧	أبو فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالي
١٤	قصيدة	١٩	٩٥-٩٦	
١٥	قصيدة	١٨	١٣٤	الوزير محمد بن يحيى أجانا
١٦	قصيدة	١٧	١٢٨-١٢٩	أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الشريف
١٧	قصيدة	١٦	١٢٤	
١٨	قصيدة	١٣	٦٠-٦١	أبو فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالي
١٩	قصيدة	١٢	١٠٨-١٠٩	
٢٠	قصيدة	١١	١٣٢	أبو فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالي
٢١	قصيدة	١١	٢٦٢	
٢٢	قصيدة	١٠	٨٢ -٨٣	أبو العباس المنجور
٢٣	قصيدة	٩	٤٤	أبو الفضل المعروف بابن العقاد
٢٤	قصيدة	٩	١٦٠	أبو الحسن علي بن منصور الشياظمي
٢٥	قصيدة	٩	١٦٥	
٢٦	قصيدة	٩	٢٠٥ -٢٠٦	أبو الحسن علي بن هارون
٢٧	قصيدة	٨	٩٨	أبو فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالي
٢٨	قصيدة	٨	١٠٩	
٢٩	قصيدة	٨	١٢٣ - ١٢٤	بدر الدين القرافي
٣٠	قصيدة	٨	١٢٧ - ١٢٨	أبو محمد عبد الواحد بن عاشر

٣١	قصيدة	٨	١٣٠ - ١٣١	أبو عبد الله محمد بن علي
٣٢	قصيدة	٨	٢٤٣	الهوازلي
٣٣	قصيدة	٧	٥	عبد العزيز بن محمد الفشتالي
٣٤	قصيدة	٧	١٢٢ -١٢٣	أحمد بن القاضي
٣٥	قصيدة	٧	١٨٩	أبو علي الحسن المسفيوي
٣٦	قصيدة	٧	٢٤١	المراكشي
٣٧	قصيدة	٧	١٤١ - ١٤٢	أبو زكرياء يحيى بن عبد الله بن
٣٨	قصيدة	٧	٢٩٠	سعيد
٣٩	قصيدة	٧	١٢٣	أبو العباس أحمد بن أحمد بابا
				عبد العزيز بن محمد الفشتالي
				أبو عبد الله محمد بن علي
				الهوازلي
				إمام الدين الخليلي ابن الفقيه
				البطايحي
				رضوان بن عبد الله الجنوي
				لم يذكر قائله
				الإمام النظار أبي عبد الله محمد
				القصار.
				أبو عبد الله محمد بن عمر
				الشاوي
				لم يذكر قائله
				أبو عبد الله محمد بن أحمد
				المكلاتي
				علي بن عمران السلاسي
				أبو علي الحسن بن مسعود
				اليوسي
				أبو علي الحسن بن عبد الكريم.

ثانيا : إحصاء بالقطع الشعرية المروية بالكتاب :

م	النوع	عدد الأبيات	الصفحة	اسم الشاعر
١	قطعة	٦	٥٦	لم يذكر قائله
٢	قطعة	٦	٥٧ـ ٥٨	أبو العباس أحمد الزموري
٣	قطعة	٦	٥٨	أبو العباس أحمد الزموري
٤	قطعة	٦	٥٨ـ ٥٩	أبو العباس أحمد الزموري
٥	قطعة	٦	١٢٠ـ ١٢١	أبو مالك عبد الواحد الشريف
٦	قطعة	٦	١٢٢	عبد الواحد بن أحمد الشريف
٧	قطعة	٦	١٢٥	أبو عبد الله محمد الشاوي
٨	قطعة	٦	١٣٣ـ ١٣٤	الجزائري
٩	قطعة	٦	١٣٦ ـ ١٣٧	لم يذكر قائله
١٠	قطعة	٦	١٣٨ ـ ١٣٩	الخليفة المنصور
١١	قطعة	٦	١٦١ ـ ١٦٢	أبو العباس أحمد الزموري
١٢	قطعة	٦	١٧٠ ـ ١٧١	أبو العباس أحمد بن القاضي
١٣	قطعة	٦	١٧١	أبو فارس عبد العزيز الفشتالي
١٤	قطعة	٦	٢٤٢	أبو القاسم بن علي الشاطبي
١٥	قطعة	٦	٢٦٢	علي بن عمران السلاسي
١٦	قطعة	٥	١١٢ـ ١١٣	أبو عبد الله محمد بن أحمد
١٧	قطعة	٥	١٢٢	المكلاتي
١٨	قطعة	٥	١٢٧	أبو فارس عبد العزيز الفشتالي
١٩	قطعة	٥	١٦٧	أبو عبد الله محمد بن علي
٢٠	قطعة	٤	٣٣ ـ ٣٤	الفشتالي
٢١	قطعة	٤	٦١	إمام الدين الخليلي بن يوسف
٢٢	قطعة	٤	١٠٢	أبو عبد الله محمد بن علي
٢٣	قطعة	٤	١٠٩	الوجدي
٢٤	قطعة	٤	١٠٩ ـ ١١٠	أبو عبد الله محمد الملقب بأبي
٢٥	قطعة	٤	١١٠	شامة
٢٦	قطعة	٤	١١٠	أبو الطيب الظريف التونسي
٢٧	قطعة	٤	١١٠ ـ ١١١	أبو عبد الله محمد بن عمر
٢٨	قطعة	٤	١١١	الشاوي
٢٩	قطعة	٤	١١١	لم يذكر قائله
٣٠	قطعة	٤	١١٣ ـ ١١٤	لم يذكر قائله
٣١	قطعة	٤	١١٤	لم يذكر قائله
٣٢	قطعة	٤	١٢١	لم يذكر قائله
٣٣	قطعة	٤	١٢١ـ ١٢٢	أبو عبد الله محمد بن علي
٣٤	قطعة	٤	١٢٧	الفشتالي

٣٥	قطعة	٤	١٣٨	أبو الحسن علي الشياظمي
٣٦	قطعة	٤	١٤٠	أبو الحسن علي الشياظمي
٣٧	قطعة	٤	١٤١	محي الدين بن عربي
٣٨	قطعة	٤	١٤١	لم يذكر قائله
٣٩	قطعة	٤	١٦٦ ، ١٦٧	عبد الواحد بن أحمد الحميدي
٤٠	قطعة	٤	١٦٧	أبو فارس عبد العزيز الفشتالي شمس الدين محمد بن أبي اللطف الخليفة المنصور أبو العباس أحمد الزموري أبو العباس أحمد الزموري إمام الدين الخليلي بن يوسف أبو عبد الله محمد بن عمر الشاوي أبو عبد الله محمد بن علي الوجدي

تابع إحصاء بالقطع الشعرية المروية بالكتاب:

م	النوع	عدد الأبيات	الصفحة	اسم الشاعر
٤١	قطعة	٤	١٦٩	أبو عبد الله محمد بن يعقوب
٤٢	قطعة	٤	٢٠٦	أبو زكرياء يحيى بن عبد الله
٤٣	قطعة	٤	٢٥٧	الحاحي
٤٤	قطعة	٤	٢٨٠	لم يذكر قائله
٤٥	قطعة	٤	٢٨٣	محمد الشرقي
٤٦	قطعة	٣	٣٥	محمد بن المبارك
٤٧	قطعة	٣	٧٦	أبو محمد عبد الواحد الونشريسي
٤٨	قطعة	٣	١٠٤	محمد ابن الإمام عبد الله الهبطي
٤٩	قطعة	٣	١٤٠	لم يذكر قائله
٥٠	قطعة	٣	١٤٠	أبو العباس أحمد الزموري
٥١	قطعة	٣	١٦٣	أبو العباس أحمد الزموري
٥٢	قطعة	٣	١٦٣	علي ابن هارون
٥٣	قطعة	٣	١٦٣	أبو زكريا يحيى بن السراج
٥٤	قطعة	٣	١٧٢	أبو مالك عبد الواحد بن أحمد
٥٥	قطعة	٣	١٩١	الونشريسي
٥٦	قطعة	٣	٢٢٠	لم يذكر قائله
٥٧	قطعة	٣	٢٤٢	عبد القادر بن أحمد بن القاسم
٥٨	قطعة	٣	٢٧٩	الفشتالي
٥٩	قطعة	٣	٢٨٠	ابن الرومي علي بن العباس
٦٠	قطعة	٣	٣٠٩	أحمد بالقاسم الصومعي
				أبو العباس أحمد بن سليمان الداودي
				محمد الشرقي
				أبو عبد الله محمد بن عبد الله الجزولي

ثالثا : إحصاء بعدد النتف الشعرية المروية بالكتاب :

م	النوع	عدد الأبيات	الصفحة	اسم الشاعر
١	نتفة	٢	٣٣	ابن الونشريسي
٢	نتفة	٢	٤٣	لم يذكر قائله
٣	نتفة	٢	٥٣-٥٤	أبو عبد الله محمد بن عبد القادر
٤	نتفة	٢	٥٤	عبد الواحد بن أحمد الحميدي
٥	نتفة	٢	٥٤	أبو العباس المنجور
٦	نتفة	٢	٥٤	أبو العباس أحمد الزموري
٧	نتفة	٢	٥٥	أبو عبد الله محمد بن عبد القادر
٨	نتفة	٢	٥٧	أبو عبد الله محمد بن عبد الله
٩	نتفة	٢	٥٨	المتوكل
١٠	نتفة	٢	٥٨	أبو العباس أحمد الزموري
١١	نتفة	٢	٩٣	أبو العباس أحمد الزموري
١٢	نتفة	٢	١٠٢	أبو الطيب المتنبي
١٣	نتفة	٢	١٠٣	لم يذكر قائلهما
١٤	نتفة	٢	١١٠	الناصر المرواني
١٥	نتفة	٢	١١٢	لم يذكر قائلهما
١٦	نتفة	٢	١١٢	أبو الحسن علي بن منصور
١٧	نتفة	٢	١١٤	الشياظمي
١٨	نتفة	٢	١١٨	أبو الحسن علي بن منصور
١٩	نتفة	٢	١١٨	الشياظمي
٢٠	نتفة	٢	١١٩	ابن الآبار
٢١	نتفة	٢	١٢٦	أبو عبد الله محمد بن عيسى
٢٢	نتفة	٢	١٢٦	الخليفة المنصور
٢٣	نتفة	٢	١٢٩	ابن عيسى الكاتب
٢٤	نتفة	٢	١٢٩	إمام الدين الخليلي بن يوسف
٢٥	نتفة	٢	١٣٦	إمام الدين الخليلي بن يوسف
٢٦	نتفة	٢	١٣٧	ابن العقاد
٢٧	نتفة	٢	١٣٧	لم يذكر قائلهما
٢٨	نتفة	٢	١٣٧	الخليفة المنصور
٢٩	نتفة	٢	١٣٧	الخليفة المنصور
٣٠	نتفة	٢	١٣٨	الخليفة المنصور
٣١	نتفة	٢	١٣٨	الخليفة المنصور
٣٢	نتفة	٢	١٣٨	الخليفة المنصور
٣٣	نتفة	٢	١٣٩	الخليفة المنصور
٣٤	نتفة	٢	١٣٩	الخليفة المنصور

٣٥	نتفة	٢	١٣٩ الخليفة المنصور
٣٦	نتفة	٢	١٣٩ الخليفة المنصور
٣٧	نتفة	٢	١٤٠ الخليفة المنصور
٣٨	نتفة	٢	١٤٠ الخليفة المنصور
٣٩	نتفة	٢	١٤١ الخليفة المنصور الخليفة المنصور الخليفة المنصور إمام الدين الخليلي بن يوسف

تابع: إحصاء بعدد النتف الشعرية المروية بالكتاب :

م	النوع	عدد الأبيات	الصفحة	اسم الشاعر
٤٠	نتفة	٢	١٤٤	الخليفة المنصور
٤١	نتفة	٢	١٦٣	أبو عبد الله محمد بن علي الفشتالي
٤٢	نتفة	٢	١٦٥	الخليفة المنصور
٤٣	نتفة	٢	١٦٦	أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عيسى
٤٤	نتفة	٢	١٦٦	أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عيسى
٤٥	نتفة	٢	١٦٦	أبو عبد الله محمد بن عمر الشاوي
٤٦	نتفة	٢	١٦٧	أبو عبد الله محمد بن عمر الشاوي
٤٧	نتفة	٢	١٦٨	أبو عبد الله الواجدي
٤٨	نتفة	٢	١٦٨	أبو عبد الله الواجدي
٤٩	نتفة	٢	١٦٩	أبو عبد الله محمد بن يعقوب
٥٠	نتفة	٢	١٦٩	أبو العباس أحمد بن القاضي
٥١	نتفة	٢	١٧٠	سليمان ابن إبراهيم بن سليمان
٥٢	نتفة	٢	١٧٢	أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الحميدي
٥٣	نتفة	٢	١٧٢	عبد الرحمن بن إبراهيم المستراني
٥٤	نتفة	٢	١٧٣	عبد الواحد بن أحمد الحميدي
٥٦	نتفة	٢	١٧٣	عبد الواحد بن أحمد الحميدي
٥٧	نتفة	٢	١٧٣	عبد الواحد بن أحمد الحميدي
٥٨	نتفة	٢	١٩٩	لم يذكر قائلهما
٥٩	نتفة	٢	٢٠٠	لم يذكر قائلهما
٦٠	نتفة	٢	٢١١	يحيى بن عبد الله
٦١	نتفة	٢	٢١٣	الإمام الشافعي
٦٢	نتفة	٢	٢٢٠	عبد الله بن المعتز
٦٣	نتفة	٢	٢٢٧	أبو مهدي عيسى بن عبد الرحمن السجتاني
٦٤	نتفة	٢	٢٢٨-٢٢٩	أبو مهدي عيسى بن عبد الرحمن السجتاني
٦٥	نتفة	٢	٢٣٢	أبو مهدي عيسى بن عبد الرحمن السجتاني
٦٦	نتفة	٢	٢٤٢	أبو مهدي عيسى بن عبد الرحمن السجتاني
٦٧	نتفة	٢	٢٤٥	زيدان بن الخليفة المنصور
٦٨	نتفة	٢	٢٥٨	لم يذكر قائلهما
٦٩	نتفة	٢	٢٨٣	لم يذكر قائلهما
٧٠	نتفة	٢	٢٨٥	لم يذكر قائلهما
٧١	نتفة	٢	٢٨٩	لم يذكر قائلهما
			٣٠٣-٣٠٤	أبو محمد عبد الوهاب بن العربي الفاسي
			٣٠٤	لم يذكر قائلهما
				لم يذكر قائلهما
				لم يذكر قائلهما

رابعا : إحصاء بعدد الأبيات المفردة (البيت اليتيم) المروية بالكتاب:

م	النوع	عدد الأبيات	الصفحة	اسم الشاعر
١	بيت مفرد	١	٢٤	أبو العلاء المعري
٢	بيت مفرد	١	٢٤	أبو الطيب المتنبي
٣	بيت مفرد	١	٢٤	أبو الطيب المتنبي
٤	بيت مفرد	١	٣٧	الفرزدق
٥	بيت مفرد	١	٥١	أبو النجم العجلي
٦	بيت مفرد	١	٥٣	قيس بن الملوح
٧	بيت مفرد	١	٥٣	ابن حجاج
٨	بيت مفرد	١	٥٤	أبو عبد الله محمد بن عبد القادر
٩	بيت مفرد	١	٥٥	عبد الواحد بن أحمد الشريف
١٠	بيت مفرد	١	٥٥	عبد الواحد بن أحمد الشريف
١١	بيت مفرد	١	٥٥	أبو عبد الله محمد بن عبد القادر
١٢	بيت مفرد	١	٦٩	لم يذكر قائله
١٣	بيت مفرد	١	٨٩	لم يذكر قائله
١٤	بيت مفرد	١	٩٦	أبو العباس أحمد بن القاضي
١٥	بيت مفرد	١	١١١	أبو الحسن علي الشياظمي
١٦	بيت مفرد	١	١٥٩	لم يذكر قائله
١٧	بيت مفرد	١	١٦٦	أبو عبد الله محمد بن أحمد
١٨	بيت مفرد	١	١٧٠	المكلاتي
١٩	بيت مفرد	١	١٧٠	شاعر يسمى الدايم
٢٠	بيت مفرد	١	١٧٠	شاعر يسمى الدايم
٢١	بيت مفرد	١	١٧١	شاعر يسمى الدايم
٢٣	بيت مفرد	١	١٧٤	أبو عبد الله محمد بن أحمد
٢٤	بيت مفرد	١	٢١٦	المكلاتي
٢٥	بيت مفرد	١	٢٣٠	أبو الطيب المتنبي
٢٦	بيت مفرد	١	٢٥٨	ابن الزبعرى
٢٧	بيت مفرد	١	٢٦٠	أبو محمد عبد الوهاب المالكي
٢٨	بيت مفرد	١	٢٦٣	الخليفة محمد بن الشريف
٢٩	بيت مفرد	١	٢٨٠	ابن هانئ الأندلسي
٣٠	بيت مفرد	١	٢٨١	أبو زيد عبد الرحمن الفاسي
٣١	بيت مفرد	١	٢٨٣	محمد الشرقي
٣٢	بيت مفرد	١	٢٨٥	مرعى الكرمي الحنبلي
٣٣	بيت مفرد	١	٢٨٥	أبو الطيب المتنبي
٣٤	بيت مفرد	١	٣١٠	علي الحسن بن مسعود اليوسي أبو الطيب المتنبي الإفراني

خامسا : إحصاء بالرسائل الفنية المروية بالكتاب مرتبة حسب عدد الأسطر :

م	النوع	عدد الأسطر	الصفحة	اسم الكاتب
١	رسالة	٢٥٩	٢١٥-٢٢٦	زيدان بن أحمد المنصور
٢	رسالة	١٨٤	٦٥-٧٣	محمد بن عبد الله .
٣	رسالة	١٦٣	٢٢٦-٢٣٣	أبو مهدي عيسى بن عبد الرحمن السجتاني
٤	رسالة	١١٩	١٧٤-١٧٩	
٥	رسالة	١٠٣	١٨٤-١٨٨	أبو العباس أحمد المنصور
٦	رسالة	٩٦	٢٤٦-٢٠٥	أبو العباس أحمد المنصور
٧	رسالة	٨١	٢٥٠-٢٥٤	محمد الشيخ الأصغر بن زيدان
٨	رسالة	٦٦	٢١٢-٢١٥	لم يذكر كاتبها
٩	رسالة	٣٨	١٨٢-١٨٤	يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم
١٠	رسالة	٣٢	٢٨٢-٢٨٣	
١١	رسالة	٢٧	٤٧-٤٨	أبو العباس أحمد المنصور
١٢	رسالة	٢١	٢٥-٢٦	محمد بن الشريف
١٣	رسالة	٢١	٧٧-٧٨	أبو المعالي زيدان بن أحمد المنصور
١٤	رسالة	٢٠	٢٦١	عبد الله بن عمر المطغري
١٥	رسالة	١٣	٤-٥	أبو مروان عبد المالك الغازي
١٦	رسالة	١٠	٧-٨	المعتصم
١٧	رسالة	١٠	٤٠	محمد بن أبي بكر
١٨	رسالة	٩	١٣٥	أبو عبد الله محمد بن القاسم القصار
١٩	رسالة	٨	٨٨-٨٩	محمد بن الشريف الحسني
٢٠	رسالة	٧	٧	السجلماسي
٢١	رسالة	٦	٢٠٣	أبو مروان عبد المالك الغازي
٢٢	رسالة	٥	٢٠٨	المعتصم
٢٣	رسالة	٤	٢٠٨	أبو العباس أحمد المنصور
٢٤	رسالة	٤	٢٩٤	أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الشريف محمد الشيخ الأصغر بن زيدان أبو العباس أحمد التواتي أبو العباس أحمد بن عبد الله أبو محلي يحيى بن عبد الله لم يذكر كاتبها

فهرس المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم .

ثانيا: المصادر:

١: نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، محمد الصغير الوافراني النجار المراكشي الوجار، ط الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر رقم (٢١٤)، لسنة ٢٠١٢م.

٢: نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، محمد الصغير الإفراني، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشاذلي، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، ط الأولى ١٤١٩هـ=١٩٩٨م.

ثانيا : المراجع:

٣: أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، فايز عبد النبي القيسي، ط دار البشير، ط ١٩٨٩م.

٤: أدب السياسة في العصر الأموي، د/ أحمد الحوفي، الناشر دار القلم بيروت، ط الأولى ١٣٨٤هـ=١٩٦٥م

٥: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، لأبي العباس شهاب الدين أحمد الدرعي السلاوي، تحقيق جعفر الناصر وأخرون، ط دار الكتب العلمية الدار البيضاء، (د – ت).

٦: أسس النقد الأدبي عند العرب، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ١٩٧٩م.

٧: أصول النقد الأدبي، د/ طه أبو كريشة، ط الشركة المصرية العالمية للنشر، ط الأولى ١٩٩٦م.

٨: الأعلام، لخير الدين الزركلي، ط دار العلم للملايين –بيروت– ط الخامسة ١٩٨٠م.

٩: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام تأليف العباس ابن إبراهيم السملالي، المطبعة الملكية الرباط، ط الثانية ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

١٠: الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر لعبد الله بن محمد الفاسي (ت١١٣١هـ)، تح فاطمة نافع، ط دار ابن حزم بيروت، ط الأولى ٢٠٠٨م.

١١: إلتقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر، لمحمد بن الطيب القادري، تح هاشم العلوي القاسمي، ط دار الآفاق الجديدة بيروت، ط الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

١٢: بلاغة الكتاب في العصر العباسي دراسة تحليلية نقدية لتطور الأساليب، د/ محمد نبيه حجاب، ط مكتبة الطالب الجامعية، ط ٢، ١٩٨٦م.

١٣: تاريخ آداب العرب، للرافعي، ط دار الكتاب العربي، ط الثانية ١٩٧٤م، جـ٣، صـ١٠٦.

١٤: تأويل مشكل القرآن، شرح السيد أحمد صقر، ط دار التراث (القاهرة)، ط الثانية، ١٩٧٣م، صـ٢٤٠ .
١٥: ثمار القلوب في شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، لمحمد مخلوف، المطبعة السلفية القاهرة، ١٣٤٩هـ .
١٦: الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية للدكتور/ محمد الأخضر، ط دار الرشاد الحديثة – الدار البيضاء– ط الأولى ١٩٧٧م.
١٧: دار الطراز في عمل الموشحات، تأليف: ابن سناء الملك، تـ د/ جودة الركابي، ط الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر رقم(١٢٠)، عام ٢٠٠٤م.
١٨: ديوان ابن سناء الملك، تح محمد إبراهيم نصر، مراجعة د/ حسين محمد نصار، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٨هـ = ١٩٦٩م.
١٩: ديوان ابن سهل الإشبيلي، تقديم الدكتور إحسان عباس، ط بيروت ١٩٦٧م.
٢٠: ديوان إسماعيل صبري، تصحيح وضبط : أحمد الزين، ط لجنة التأليف والنشر ١٩٣٨م.
٢١: ذكريات ومشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة للعلامة الأديب عبد الله كنون، تقديم د/ محمد بن عزوز، ط دار ابن حزم، ط الأولى٢٠١٠م.
٢٢: الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، تأليف محمد حجي، (د – ن) ط الثانية ١٩٨٨م.
٢٣: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمحمد مخلوف، المطبعة السلفية القاهرة، ١٣٤٩هـ.
٢٤: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تأليف: أحمد بن على القلقشندي، شرح وتعليق محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت، ط الأولى ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م.
٢٥: صحيح البخاري، تحقيق د/ مصطفى ديب البغا، ط دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط الثالثة ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.
٢٦: صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د–ت) .
٢٧: العامل الديني في الشعر المصري الحديث، د/سعد الدين الجيزاوي، ط المجلس الأعلى للفنون والآداب،١٩٦٤م.
علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، تأليف: أحمد مصطفى المراغي، ط المكتبة العصرية بيروت (د–ت).
٢٨: فن الرثاء ، د/شوقي ضيف، ط دار المعارف (القاهرة)، ط الرابعة ١٩٩٥م.
٢٩: في مفهوم المنهج الوصفي وإجراءاته ومميزاته وعيوبه: مناهج البحث العلمي، د/ محمد سرحان المحمودي، دار الكتب صنعاء، ط الثالثة ٢٠١٩م.

٣٠: القصيدة المادحة ومقالات أخر، د/ عبد الله الطيب، ط دار التأليف والترجمة والنشر، جامعة الخرطوم، ط الأولى ١٩٧٣م.
٣١: مجلة دعوة الحق الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، العدد (١٩٢).
٣٢: المدائح النبوية في الأدب العربي، د/ زكي مبارك، ط دار الكتاب العربي ١٩٣٥م.
٣٣: مسالك الممالك للأصطخري، طبع في مدينة ليدن بمطبع بريل سنة١٨٧٠م
٣٤: المسلك السهل، في شرح توشيح ابن سهل، تأليف محمد الإفراني، تح: محمد العمري، ط وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمملكة المغربية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
٣٥: المضاف والمنسوب. تـ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار المعارف.
٣٦: معجم الشعراء العرب، المؤلف: تم جمعه من موقع الموسوعة الشعرية.
٣٧: معجم العين، الخليل بن أحمد، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، الهلال، (د- ت).
٣٨: معجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف إلياس سركيس الدمشقي، مطبعة سركيس بمصر ١٣٤٦هـ/١٩٢٨م.
٣٩: مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث، د/ محمد محمود الذنيبات، وأخرون، ط ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط الرابعة ٢٠٠٧م.
٤٠: موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور، د/ صابر عبد الدايم، ط دار الكتاب الحديث ، ط الأولى ٢٠١٤م.
٤١: موسيقى الشعر العربي قديمه وحديثه، د/ عبد الرضا علي، ط دار الشروق، ط الثانية ١٩٩٧م.
٤٢: الموشحات الأندلسية، د/ سليمان العطار، ط الهيئة العامة لقصور الثقافة، يونيه ٢٠٠٣م .
٤٣: النبوغ المغربي في الأدب العربي لعبد الله كنّون الحسني، (د،ن)، ط الثانية ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.
٤٤: نشر المثاني من أهل القرن الحادي عشر والثاني لمحمد بن الطيب القادري (ت١١٨٧هـ)، ط دار المغرب للتأليف والترجمة، ١٩٧٧م.
٤٥: نقد الشعر لأبي الفرج قدامة بن جعفر، تـ كمال مصطفى، ط الخانجي، ط الثالثة.

References :

'awla: alquran alkarim .

thanian: almasadiri:

1: nuzhat alhadi bi'akhbar muluk alqarn alhadiy, muhamad alsaghir alwafiranii alnajaar almarakishii alwajari, t alhayyat aleamat liqusur althaqafati, silsilat aldhakhayir raqm (214), lisanat 2012m.

2: nuzhat alhadi bi'akhbar muluk alqarn alhadiy, muhamad alsaghir al'iifranii, taqdim watahqiq eabd allatif alshaadhli, matbaeat alnajah aljadidat aldaar albayda', t al'uwlaa 1419h=1998m,

thanian : almarajie:

3: 'adab alrasayil fi al'andalus fi alqarn alkhamis alhijrii, fayiz eabd alnabii alqaysi, t dar albashir, t 1989m.

4: 'adab alsiyasat fi aleasr al'umawi, du/ 'ahmad alhufiu, alnaashir dar alqalam bayrut, t al'uwlaa 1384h=1965m

5: alaistiqasa li'akhbar dual almaghrib al'aqsaa, li'abi aleabaas shihab aldiyn 'ahmad aldarei alsalawi, tahqiq jaefar alnaasir wa'akhruna, t dar alkutub aleilmiat aldaar albayda', (dd - t).

6: 'asas alnaqd al'adabia eind alearabi, dar nahdat misr liltibaeat walnashri, 1979m.

7: 'usul alnaqd al'adbi, da/ tah 'abu karishat, t alsharikat almisriat alealamiat lilnashri, t al'uwlaa 1996m.

8: al'aelami, likhayr aldiyn alzarkali, t dar aleilm lilmalayin - birut- t alkhamisat 1980m.

9: al'iielam biman hali marakish wa'aghmat min al'aelam talif aleabaas aibn 'iibrahim alsamlalii, almatbaeat almalakiat alribati, t althaaniat 1413h/1993m.

10: al'iielam biman ghabr min 'ahl alqarn alhadi eashar lieabd allah bin muhamad alfasi (t1131h), tah fatimat nafieu, t dar aibn hazam bayrut, t al'uwlaa 2008m.

11: 'iiltiqat aldarar wamustafad almawaeiz waleibar min 'akhbar wa'aeyan almiayat alhadiat walthaaniat eashr, limuhamad bin altayib alqadiri, tuh hashim alealawi alqasimi, t dar alafaq aljadidat bayrut, t al'uwlaa 1403h/1983m.

12: balaghat alkitab fi aleasr aleabaasii dirasat tahliliat naqdiat litatawur al'asalibi, du/ muhamad nabih hajab, t maktabat altaalib aljamieiati, t 2, 1986m.

13: tarikh adab alearabi, lilraafiei, t dar alkitaab alearabii, t althaaniat 1974m, ja3, sa106.

14: tawil mushkil alqurani, sharh alsayid 'ahmad saqra, t dar alturath (alqahirati), t althaaniatu, 1973m, sa240 .

15: thimar alqulub fi shajarat alnuwr alzakiat fi tabaqat almalikiat , limuhamad makhlufi, almatbaeat alsalafiat alqahirati, 1349h .
16: alhayaat al'adabiat fi almaghrib ealaa eahd aldawlat aleulwiat lilduktur/ muhamad al'akhdar, t dar alrashad alhadithat - aldaar albayda'- t al'uwlaa 1977m.
17: dar altiraz fi eamal almushihati, talifu: abn sana' almaliki, ta da/ jawdat alrakabi, t alhayyat aleamat liqusur althaqafati, silsilat aldhakhayir raqama(120), eam 2004m.
18: diwan abn sana' almaliki, tih muhamad 'iibrahim nasar, murajieat da/ husayn muhamad nasar, dar alkitaab alearabii liltibaeat walnashri, alqahirat 1388h = 1969m.
19: diwan abn sahl al'iishbili, taqdim alduktur 'iihsan eabaas, t bayrut 1967m.
20: diwan 'iismaeil sabri, tashih wadabt : 'ahmad alzayni, t lajnat altaalif walnashr 1938m.
21: dhikrayat wamashahir rijal almaghrib fi aleilm wal'adab walsiyasat lilealamat al'adib eabd allah kanun, taqdim du/ muhamad bin eazuza, t dar abn hazma, t al'uwlaa2010m.
22: alzaawiat aldalayiyat wadawruha aldiyniu waleilmiu walsiyasia, talif muhamad haji, (dd - na) t althaaniat 1988m.
23: shajarat alnuwr alzakiat fi tabaqat almalikiati, limuhamad makhlufi, almatbaeat alsalafiat alqahirati, 1349hi.
24: subh al'aeshaa fi sinaeat al'iinsha, talifu: 'ahmad bin ealaa alqiliqashandi, sharh wataeliq muhamad husayn shams aldiyn, alnaashir: dar alkutub aleilmiat , bayrut, t al'uwlaa 1407h = 1987m.
25: sahih albukhari, tahqiq du/ mustafaa dib albugha, t dar aibn kathir, alyamamati, bayrut, t althaalithat 1407h=1987m.
26: sahih muslma, tahqiq muhamad fuaad eabd albaqi, alnaashir: dar 'iihya' alturath alearabi, bayrut, (d-t) .
27: aleamil aldiyniu fi alshier almisrii alhadithi, da/saed aldiyn aljizawi, t almajlis al'aelaa lilfunun waladiab,1964m.
eulum albalaghat albayan walmaeani walbadiei, talifu: 'ahmad mustafaa almaraghi, t almaktabat aleasriat bayrut (da-t).
28: fanu alritha' , da/shuqi dayfa, t dar almaearif (alqahirati), t alraabieat 1995m.
29: fi mafhum almanhaj alwasfii wa'iijra'atih wamumayizatih waeuyubihi: manahij albahth aleilmii, du/ muhamad sarhan almahmudi, dar alkutub sanea', t althaalithat 2019m.

30: alqasidat almadihat wamaqalat 'akhra, da/ eabd allah altayb, t dar altaalif waltarjamat walnashri, jamieat alkhartum, t al'uwlaa 1973m.
31: majalat daewat alhaqi alsaadirat ean wizarat al'awqaf walshuwuwn al'iislamiat almaghribiati, aleadad (192).
32: almadayih alnabawiat fi al'adab alearabii, du/ zakiy mubarak, t dar alkitaab alearabii 1935m.
33: masalik almamalik lil'asatkhari, tubie fi madinat liadin bimatbae biril sanata1870m
34: almaslak alsahli, fi sharh tawshih aibn sahla, talif muhamad al'iifrani, taha: muhamad aleamri, t wizarat al'awqaf walshuyuwn al'iislamiat bialmamlakat almaghribiati, 1418h/1997m.
35: almadaf walmansuba. t muhamad 'abu alfadl 'iibrahim, t dar almaearifi.
36: muejam alshueara' alearabi, almualafi: tama jameuh min mawqie almawsueat alshieriati.
37: muejam aleayni, alkhalil bin 'ahmadu, taha: mahdii almakhzumii wa'iibrahim alsaamaraayiy, alhilali, (d- t).
38: muejam almatbueat alearabiat walmuearibat liusif 'iilyas sarkis aldimashqi, matbaeat sarkis bimasar1346h/1928m.
39: manahij albahth aleilmii waturuq 'iiedad albuhuthi, du/ muhamad mahmud aldhunaybati, wa'akhrun, t diwan almatbueat aljamieiati, aljazayir, t alraabieat 2007m.
40: musiqaa alshier alearabii bayn althabat waltatawuri, du/ sabir eabd aldaaym, t dar alkitab alhadith , t al'uwlaa 2014m.
41: musiqaa alshier alearabii qadimuh wahadithuhu, du/ eabd alrida ealay, t dar alshuruq, t althaaniat 1997m.
42: almushihat al'andalusiatu, du/ sulayman aleataru, t alhayyat aleamat liqusur althaqafati, yunih 2003m .
43: alnubugh almaghribiu fi al'adab alearabii lieabd allh knnwn alhasni, (di,n), t althaaniat 1380hi/ 1960m.
44: nashar almathani min 'ahl alqarn alhadi eashar walthaani limuhamad bn altayib alqadirii (t1187ha), t dar almaghrib liltaalif waltarjamati, 1977m.
45: naqd alshier li'abi alfaraj qudamat bin jaefara, ta kamal mustafaa, t alkhanji, t althaalithati.